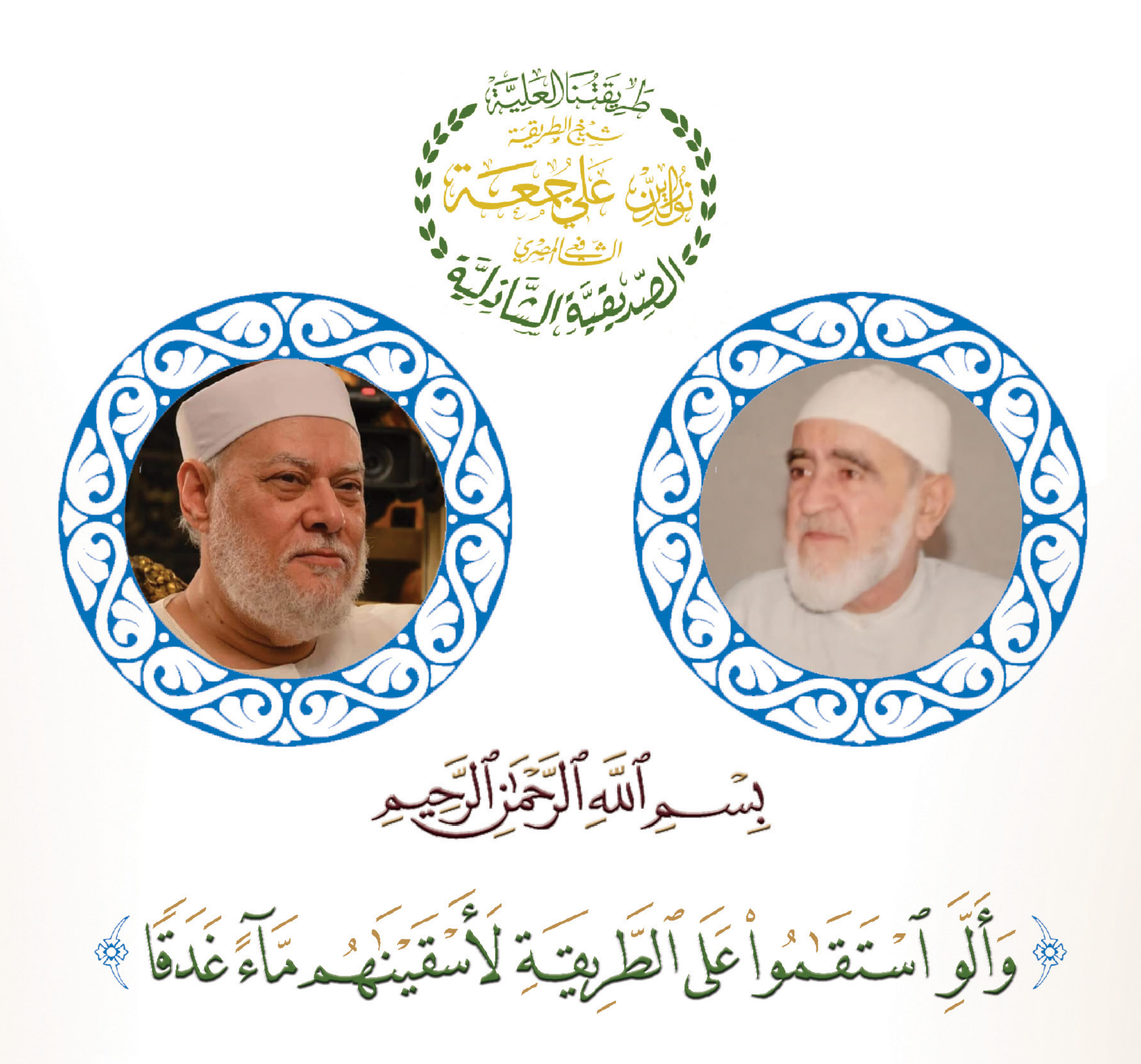

عدد المولد النبوي الشريف
مفاجأة
هدية العدد
المولد العلي
العَدَد: ٣
ربيع الأول ١٤٤٣ هـ - أكتوبر ٢٠٢١ م
الصّدّيقيّة
مجلّة سُنِّية صوفيّة الكترونية تصدر عن
مؤسسة الصديقيّة للخدمات الثقافية والاجتماعية
تحت اشراف
الأستاذ الدّكتور علي جُمعة
عُضو هَيئةِ كِبار العُلمَاء بالأزهرِ الشَريف
المؤسسة الصّدّيقيّة

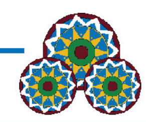


مجلّة سُنِّية صوفيّة الكترونية تصدر عن

مؤسسة الصديقيّة للخدمات الثقافية والاجتماعية

الـمشهرة برقم ٩٣٢ لسنة ٢٠٢٠

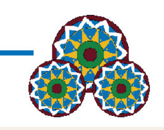
المحتويات



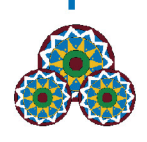
العَدَد: ٣ - ربيع الأول ١٤٤٣ هـ - أكتوبر ٢٠٢١ م



المحتويات



العدد: ٣ - ربيع الأول ١٤٤٣ هـ - أكتوبر ٢٠٢١ م



١

افتتاحية العدد

أ.د/ علي جمعة

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

شيخ الطريقة الصديقية الشاذلية

facebook.com/DrAliGomaa



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد بن عبد الله، الرحمة المهداة للخلق أجمعين.

اعلم أيها المسلم الكريم أن المولد النبوي الشريف هو إطلالة للرحمة الإلهية على المخلوقات كلها، وعبر القرآن الكريم عن وجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه «رحمة للعالمين» وهذه الرحمة لم تكن محدودة، فهي تشمل تربية البشر وتزكيتهم وتعليمهم وهدايتهم نحو الصراط المستقيم، وتقدمهم على صعيد حياتهم المادية والمعنوية، كما أنها لا تقتصر على أهل ذلك الزمان بل تمتد على امتداد التاريخ بأسره ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾.

والاحتفال بذكرى مولد سيد الكونين وخاتم الأنبياء والمرسلين نبي الرحمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم من أفضل الأعمال وأعظم القربات، لأنه تعبير عن الفرح والحب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومحبَّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصل من أصول الإيمان، وقد صح عنه أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده» [مسلم]. وأنه صلى الله عليه وآله وسلم

قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[البخاري]

والاحتفال بمولده صلى الله عليه وآله وسلم هو الاحتفاء به، والاحتفاء به صلى الله عليه وآله وسلم أمر مقطوع بمشروعيته، لأنه أصل الأصول ودعامتها الأولى، فقد علم الله سبحانه وتعالى قدر نبيه، فعرَّف الوجود بأسره باسمه وبمبعثه وبمقامه وبمكانته، فالكون كله في سرور دائم وفرح مطلق بنور الله وفرجه ونعمته على العالمين وحجته.

وقد درج سلفنا الصالح منذ القرن الرابع والخامس على الاحتفال بمولد الرسول الأعظم صلوات الله عليه وسلامه بإحياء ليلة المولد بشتى أنواع القربات من إطعام الطعام وتلاوة القرآن والأذكار وإنشاد الأشعار والمدائح في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما نص على ذلك غير واحد من المؤرخين مثل الحافظين ابن الجوزي وابن كثير، والحافظ ابن دحية الأندلسي، والحافظ ابن حجر، وخاتمة الحفاظ جلال الدين السيوطي رحمهم الله تعالى.

وألف في استحباب الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف جماعة من العلماء والفقهاء بينوا بالأدلة الصحيحة استحباب هذا العمل؛ بحيث لا يبقى لمن له عقل وفهم وفكر سليم إنكار ما سلكه سلفنا الصالح من الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف، وقد أطال ابن الحاج في (المدخل) في ذكر المزايا المتعلقة بهذا الاحتفال، وذكر في ذلك كلاما مفيدا يشرح صدور المؤمنين، مع العلم أن ابن الحاج وضع كتابه المدخل في ذم البدع المحدثة التي لا يتناولها دليل شرعي.

وقال خاتمة الحفاظ جلال الدين السيوطي في كتابه «حسن المقصد في عمل المولد» بعد سؤال رفع إليه عن عمل المولد النبوي في شهر ربيع الأول ما حكمه من حيث الشرع، وهل هو محمود أو مذموم، وهل يثاب فاعله؟ قال: «والجواب عندي أن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وما وقع في مولده من الآيات، ثم يمد لهم سماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك: هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها، لما فيه من تعظيم قدر النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف.

وقد رد السيوطي على من قال: «لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولا سنة».

بقوله: «نفي العلم لا يلزم منه نفي الوجود مبينا أن إمام الحفاظ أبا الفضل بن حجر

رحمه الله تعالى قد استخرج له أصلا من السنة، واستخرج له هو – يعني السيوطي- أصلا ثانيا موضحا أن البدعة المذمومة هي التي لا تدخل تحت دليل شرعي في مدحها أما إذا تناولها دليل المدح فليست مذمومة»

روى البيهقي عن الشافعي رضي الله تعالى عنه قال: «المحدثات من الأمور ضربان: أحدهما : أحدث مما يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا فهذه البدعة الضلالة، والثاني : ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد وهذه محدثة غير مذمومة. وقد قال عمر بن الخطاب في قيام شهر رمضان نعم البدعة هذه، يعني أنها محدثة لم تكن، وإذا كانت فليس فيها رد لما مضى هذا آخر كلام الشافعي.

وذكر السيوطي أن هذا مما أحدث، وليس فيه مخالفة لكتاب ولا سنة ولا أثر ولا إجماع، فهو غير مذموم، كما في عبارة الشافعي، وهو من الإحسان الذي لم يعهد في العصر الأول، فإن إطعام الطعام الخالي عن اقتراف الآثام إحسان، فهو إذن من البدع المندوبة، كما عبر عنه بذلك سلطان العلماء العز بن عبد السلام.

وأصل الاجتماع لإظهار شعار المولد مندوب وقربة، لأن ولادته أعظم النعم علينا والشريعة حثت على إظهار شكر النعم، وهذا ما رجحه ابن الحاج في المدخل حيث قال: «لأن في هذا الشهر منّ الله تعالى علينا بسيد الأولين والآخرين، فكان يجب أن يزاد فيه من العبادات والخير وشكر المولى على ما أولانا به من النعم العظيمة.

والأصل الذي خرج عليه الحافظ ابن حجر عمل المولد النبوي هو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هذا يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكرا لله تعالى، قال الحافظ ابن حجر: «فيستفاد منه فعل شكر الله على ما من به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر يحصل بأنواع العبادات كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأي نعمة أعظم من نعمة بروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم»

ويؤكد الحافظ ابن حجر على ما ينبغي أن يعمل في الاحتفال فيقول: «فينبغي أن نقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من التلاوة والإطعام وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة وما كان مباحا بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به».

ونقل السيوطي عن إمام القراء الحافظ شمس الدين بن الجزري من كتابه «عرف التعريف بالمولد الشريف» قوله: «إنه صح أن أبا لهب يخفف عنه العذاب في النار كل ليلة اثنين لإعتاقه ثويبة عندما بشرته بولادة النبي عليه الصلاة والسلام. فإذا كان أبو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي عليه السلام، فما حال المسلم الموحد من أمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسر بمولده ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنة النعيم. وأنشد الحافظ شمس الدين الدمشقي في كتابه المسمى مورد الصادي في مولد الهادي:

إذا كان هذا كافرا جاء ذمه ...

وتبَّت يداه فى الجحيم مخلدا

أتى أنه فى يوم الاثنين دائما ...

يخفف عنه للسرور بأحمدا

فما الظن بالعبد الذى كان عمره ...

بأحمد مسرورا ومات موحدا؟

ويمكن الاستدلال بعموم قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾، فلا شك أن مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أيام الله فيكون الاحتفال به ما هو إلا تطبيقاً لأمر الله، وما كان كذلك فلا يكون بدعة، بل يكون سنة حسنة حتى ولو لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ونحن نحتفل بمولده صلى الله عليه وآله وسلم لأننا نحبه، ولما لا نحبه وقد عرفه وأحبه كل الكائنات قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس» [رواه أحمد والدارمي وابن أبي شيبة].

ومما سبق ذكره من أقوال الأئمة كابن حجر، وابن الجوزي، والسيوطي، وغيرهم، وتبين أن هذا حال الأمة من القرن الخامس الهجري، نرى استحباب الاحتفال بالمولد الشريف موافقة للأمة والعلماء، وأن يكون الاحتفال بما ذكر من تلاوة القرآن والذكر وإطعام الطعام، ولا يتطرق إليه مظاهر مذمومة كالرقص والطبل وما إلى ذلك، ولا عبرة بمن شذ عن هذا الإجماع العملي للأمة وأقوال هؤلاء الأئمة؛ وليس ذلك الاحتفال بكثير على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الرحمة المهداة حبيب رب العالمين.

وأحب هنا أن أذكر لكم بعض الوصايا:

الوصية الأولى: أن احتفالنا بذكرى مولد النبي المصطفى السيد الأجل - صلى الله عليه وآله وسلم - ينبغي أن يكون بالعمل مع القول،

وبالسرور والحضور بالحس وبالروح، ينبغي أن تحرك فينا بقدوم النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - للعالمين هذه المعاني، التي تجعلنا نبلغ عنه ولو آية كما أمرنا: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)، هذه المعاني التي تجعلنا نفرح بمقدمه السعيد.

الوصية الثانية: أن نقف عند الحدود التي حدها لنا، ونأتمر بأوامره التي أمرنا بها، وننتهي عن نواهيَ قد نهانا عنها - صلى الله عليه وآله وسلم -، سواء كانت في الظاهر والباطن، في الخَلق وفي الخُلق، وكان عظيمًا - صلى الله عليه وآله وسلم -، ويكفي قول ربه فيه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وتقول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: (كان خلقه القرآن)، إذا أردت أن نبحث عن خلق النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فلتقرأ القرآن؛ كان مُؤْتَمِرًا بأوامره، ومنتهيًا عن نواهيه، متخلقًا بأخلاق الله التي أمر بها - سبحانه وتعالى -، وهذا القرآن بين أيدينا، اجعلوه إمامًا لكم في هذا الشهر الكريم، واجعلوا ذلك الشهر بداية خير لحياتكم ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ افعلوا الخير كله، قالَ رسولُ الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : (لاَ يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنَ المَعْرُوفِ، وإن لَمْ يَجِدْ فَلْيَلْقَ أخَاهُ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ، وإذا اشْتَرَيْتَ لَحْمًا أَوْ طَبَخْتَ قِدْرًا فَأَكْثِرْ مَرَقَتَهُ واغْرِفْ لِجَارِكَ مِنْهُ) .

الوصية الثالثة: افرحوا برسول الله .. أحبوا رسول الله .. علموا أبناءكم حب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ..لا نجاة لنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن إلا برسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - .. التفوا حول سنته وشريعته ومقامه الكريم، بقلوبكم.. بعقولكم.. بسلوككم.. بحياتكم.. بأموالكم.. بأنفسكم وبيعوها لله.. أخرجوا الدنيا من قلوبكم ولتكن في أيديكم.. أحبوا رسول الله فإن حبه ركن الإيمان .. أحبوا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وأكثروا من الصلاة عليه بالليل والنهار ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.





الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيه، مِلْءِ السَماَوَاتِ ومِلْءِ الأَرضِ وَمِلْءِ مَا شِئتَ مِنْ شَيءٍ بَعد، أَهْلَ الثنَاءِ وَالْمَجدِ، أَحَق مَا قَالَهُ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْد، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعطَيتَ وَلَا مُعطِيَ لِمَا مَنَعتَ وَلَا رَادَّ لِمَا قَضَيتَ، وَلَا يَنفَعُ ذَا الجَدِ مِنكَ الجَدُ، أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا الله وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ، سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَخَاتَمُ النَّبِيّينَ، وإِمَامُ الْمُتقِينَ، وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، أَحمَدُ الأَحدِيَةُ، مُحَمَّدُ الوَاحِدِيَةُ، أَحمَدُ البَاطِنُ، مُحَمَّدُ الظَّاهِرُ، أَحمَدُ القَاهِرُ، مُحَمَّدُ الرَّحِيمُ الْذِي رَحمَتُهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ، ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ))، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ فِي كُلِّ لَمحَةٍ وَنَفَسٍ عَدَدَ مَا وَسِعَهُ عِلْمُ الله، وَارضَ اللَّهُمَّ عَنْ سَادَتِنَا أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلي، وَعَنْ سَيِّدِنَا الحَسَن، وَسَيِّدِنَا الحُسَين، وأُمهمَا فَاطِمَةَ الزَّهرَاءِ، وَسَائِرِ ذُرِيَّتِهَا أَجمَعِينَ إِلَى يَومِ الدِّينِ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ سَادَاتِنَا الصَحابَةِ أَجمَعِينَ وَعَن التَّابِعِينَ وَتَابِعِي التَابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَومِ الدِّينِ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنَّا مَعَهم يَا رَبَّ العَالَمِينَ، وَلَا تَفتِنَّا بَعدَهُمْ، وَلَا تَحرِمْنَا أَجرَهُمْ، واغْفِرْ لَنَا وَلَهُم، يُقبلُ علينا شهرَ ربيع الأنور، وَقدْ وُلِد سيدُنا وسندنا صلى الله عليه وآله وسلم فِي هذا الشَهْرِ ((رَبِيع النَّبَويِّ، رَبِيع الْأَوَّل، رَبِيع الأَنْوَر، رَبِيعُ الزَّمَان وَكُلُّ زمَان)).

وإذَا نَظرتَ نظرةَ المحبِّ المتأمِلِ إلى سَيدِنَا النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، تَجد أَنَّ كُل مَا تَعَلَّقَ بِهِ شَرِيفٌ، فَالزَّمَانُ الذي وُلِدَ فِيهِ هُوَ أَشْرَفُ زَمَانٍ، وَالقَرْنُ الذِي ظَهَرَ فِيهِ هُوَ أَفْضَلُ القُرونِ، وَالبَلْدَةُ التِي ظَهَرَ فِيهَا هِيَ أَفْضَلُ البِلَادِ، وَكَذَلِكَ القُرْآنُ الذِي نَزَلَ عَلَيهِ هُوَ أَفضَلُ كِتَابٍ، وأُمَّتُهُ هِيَ خَيرُ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ للنَّاسِ، فَكُلُّ مَا أَحَاطَ بِهَذَا النَّبِي شَرِيفٌ؛ لِكَمَالِ شَرَفِهِ، فَكُلُّ مَا أَحَاطَ بِهِ اسْتَمَدَ شَرَفَهُ مِنْهُ صلى الله عليه وآله وسلم، وَهُوَ اسْتَمَدَ شَرَفَهُ مِنَ اللهِ، إِذْ كَانَ غِناه بِاللهِ، فَلَمْ يَتَشَرَّفْ إِلَّا بِرَبِّهِ، وَسَائِرُ الأَكْوَانِ تَشَرَّفَتْ بِهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

ونبدأ بالعَامُ الذِي وُلِدَ فِيهِ، هُوَ عَامُ الفِيلِ، وهو مِنَ الأَعْوَامِ القَلَائِلِ التِي لَا يَنْسَاهَا البَشَرُ، صَدَّ اللهُ بِهِ جَيْشَ أَبْرَهَة عَنْ الكَعْبَةِ بالطَّيرِ الأَبَابِيلِ، لِيَحْفَظَ الكَعْبَةَ وَالبيْتَ؛ حَتَى يُولَدَ هَذَا النَّبي، تمهيدًا لِوِلَادَتِهِ، وَلِيَبْعَثَ الهَيْبَةَ وَالوَقَارَ لِهَذَا البَيت فِي نُفُوسِ كل الـمُحِيطِينَ بِهِ، بِشُهْرَةِ هَذَا اليَومِ الذِي حَمَى اللهُ فِيهِ البَيتَ مُبَاشَرَةً بِغَيْرِ فِعْلِ بَشَر؛ حَتَى يُولَدَ فِي زَمَانٍ يُوَقَّرُ فِيهِ هَذَا البَيْت، الذِي يَصِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ قِبْلَةً لِهَذَا النَّبِيّ فِي صَلَاتِهِ، وفِي دُعَائِهِ، وَمَحَلًّا لِلعِبَادَةِ العَظِيمَةِ التِي انْبَنَى عَلَيْهَا رُكنٌ مِنْ أَرْكَانِ الإسلَامِ، وَهِيَ حَجُّ البَيْتِ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلًا، وُلِدَ صلى الله عليه وآله وسلم بَعْدَ خَمْسَةٍ وَخَمْسِينَ يَومًا مِنْ حَادِثَةِ الفِيلِ فِي عَامِ الفِيلِ، وَهُوَ أَشْرَفُ عَامٍ يَمُرُّ عَلَى مَكَةَ، حَيْثُ إِنَّ اللهَ أَظْهَرَ قُدْسية هَذَا البيْت للعَالَمين.

أَمَّا الشهرُ، فَقدْ وُلِدَ صلى الله عليه وآله وسلم فِي شَهْرِ رَبِيع، وَانْظُرْ إِلَى الرَّبِيع وَمَا مَعْنَاه؟ الرَبِيعُ هُوَ الخُصُوبَةُ، والنَّمَاءُ، وَالحَيَاةُ، وَاعْتِدَالُ المِزَاجِ، واَعْتدَالُ الأَحْوَال؛ فَجَاءَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وآلهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، انْظُرْ إِلَى اخْتِيَارِ الزَّمَانِ لَهُ صلى الله عليه وآله وسلم، فإنَّ الزمانَ لا قيمةَ له إلا بِمَا حدثَ فيه من أحداثٍ.

ثم يُولَد صلى الله عليه وآله وسلم في يوم الإثنين، يومٌ عجيب ليس هو أفضل أيام الأسبوع، فأفضل أيام الأسبوع يوم الجمعة، استمدَّ شرفه للأحداث العظيمة التي حدثت فيه، قال عنه صلى الله عليه وآله وسلم يومٌ خُلِقَ فيه آدم، ويومٌ أُخرِجَ فيه من الجنة، ويوم تَقوم فيه الساعة، فكان هذا اليوم من الأيام العظيمة عند الله، ولكن لماذا لم يُخلَقْ النبي ويَظهر يوم الجمعة، واختار الله له يومَ الإثنين؟

أولًا: لِيَشْرُفَ بِهِ يومٌ لم يكن له شرفٌ معلوم، حتى لا يكون شرفُه لزمانٍ سابق الشرف، بل حتى يَلحَقَ الشَّرفُ بالزمان الذي يَظهرُ هو صلى الله عليه وآله وسلم فيه، وليس هو صلى الله عليه وآله وسلم الذي يلحق بالزمان الشريف، بل الزمان يَشرُفُ بلحوقهِ به، هذا معنىً.

ثانيًا: أنَّ يوم الإثنين هو اليوم الذي بعد الأحد، حيث كان الله ولم يكن شيئًا معه، فلما أراد أن يَخلق الخلقَ، خَلَقَ نورًا وذاتًا لها خصائص يَخلُقُ بها ما شاء، وهي تُخلَقُ منه مباشرةً بغيرِ واسطةٍ، الرحمة للعالمين، فكان الله ولم يكن شيئًا معه في سابق الأزل، فكان أحد، فلما أرادَ أنْ يَخلُقَ الخَلقَ، خَلَقَ هذه الرحمة للعالمين، فصار اثنان، واحد مخلوق، وواحد خالق، فأراد الله أَنْ يُشيرَ إلى هذه الحالة بأن يَظهرَ صلى الله عليه وآله وسلم يوم الإثنين بعد الأحد؛ لبيان ما خَبَّأَهُ في قديم الزمان، حيث إنه هو أول مخلوق خَلقَه اللهُ بعد الأحد، فكان اثنين خالق ومخلوق، هذه إشارةٌ، ثم إنَّ يومَ الإثنينِ يومٌ عجيبٌ، يومٌ تُعرَضُ فيه الأعمالُ على الله، وعند عَرْضِ الأعمال لتُقْبَل تحتاجُ الشفاعةَ، وهو أول شافِعٍ، وأولُ مُشَفَّعٍ، فكانت هذه المناسبات العجيبة تجعل ليوم الإثنين شأنًا، ولكن هذا الشأن يَجهَله الناسُ، فأرادَ اللهُ أن يُشِيرَ إليه بأَنْ يُولَدَ هذا النبي إما قبل فجر هذا اليوم، أو بعد طلوع فجر هذا اليوم، على خلافٍ مشهورٍ بين الناس، ويبدو أن الطَّلْق بَدَأَهَا قبل الفجر، وظهرتْ الذاتُ المحمديةُ اللطيفةُ الأحديةُ في الصورةِ الجسديةِ بعد طلوع فجر يوم الإثنين الثاني عشر من ربيعٍ الأول في عام الفيل، وقيل الثامن من شهر ربيعِ الأول على خلافٍ بين المؤرخين، حيث إنه ظهر وولد في أمةٍ أمية، لا تقرأ، ولا تكتب، ولا تعرف الحساب؛ فكان يحدث هذا الخلاف، فظهوره صلى الله عليه وآله وسلم في يوم شريف ينبه عنه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم عندما سُئِلَ عن صيامِ يوم الإثنين، قال (يومٌ وُلِدتُ فيه)، إذًا شَرُفَ هذا اليوم بالولادة، (ويومٌ بُعِثتُ فيه) أي بدأت نُبُوَّتُهُ الظاهرة أيضًا يوم الإثنين، والعجيب أنه بدأ هجرته يوم الإثنين، ووصل المدينةَ يوم الإثنين، وقُبِض أيضًا يومَ الإثنين في شهر ربيعِ الأول، وكأن ولادته وقَبْضه ليسا انتقاصًا، بل قَبْضُه انتقال لحياةٍ أرحب، ومرحلة أوسع، إذ في كلِّ لحظةٍ هو في خير ((وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ))، فلا نقول أن يوم وفاته يوم حزن، ويوم ولادته يوم سرور، بل منذ أن عَرَفَتْ الأكوانُ هذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي في سرور، حيث إنه اختار الرفيقَ الأعلى، لأنه لو استمر وقد خُيِّرَ في أجله الشريف صلى الله عليه وآله وسلم أن يبقى مدةَ الدنيا، والله أَعطَى ذلك لمن هو أخس خلقه إبليس، فطول العمر ليس خصيصةً مكرمة فقد أخذها إبليس، ولكنَّ اللهَ سبحانه وتعالى خَيَّرَهُ، أن يَظَلَّ مع أمتهِ بشخصه الكريم، أو أن يَلحَقَ بالرفيقِ الأعلى.

واختلف العلماء ما هو الرفيق الأعلى؟ هل هو الله؟ أم هو المقام الأعلى؟ أم المقام الأصلي الذي كان فيه، فوق وراء الوراء، وفوق سدرة المنتهى؟ أم هو مقام قاب قوسين أو أدنى، أو هو نوع من الملائكة؟ وأنا أرى والله أعلم أن مَقام الرفيق الأعلى هو مَقام الرحمة للعالمين قبل ظهور العوالم، حيث كانَ صلى الله عليه وآله

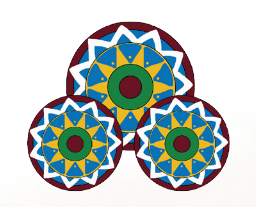
وسلم قبل أن تكون العوالم، في مقام المُكَافَحَة، الذي يُكَلِّمُهُ اللهُ ويرى ربَّه بغير واسطة، حيث لو تَقَدَّمَ جبريلُ لاحترق، وتَقَدَّمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم واخترق، في مقامٍ لا يحتاج فيه لدليل، إذ هو مقامه وبيته ومستقره ومستودعه، احتاج دليلًا في السماوات، واحتاج دليلًا في الأرض، وعندما وصل إلى ما وراء الوراء، لم يحتج لدليل، إذ هو دليلُ كل دليل صلى الله عليه وآله وسلم، فهذا هو الرفيق الأعلى؛ لأن النبي لو استمر حيًّا بيننا، لصَعُبَ على الأمة أن تَنتشِرَ، الكل يريد أن يتقوقع حوله، فيحدث حرج شديد على الأمة، وأمته أمة كثيرة، لن يَروق لك مَقام في الشام والنبي في المدينة، ولن يروق لك مَقام في العراق والنبي في المدينة، ولن يَروق لك مَقام في مصر والنبي في المدينة؛ لن يروق لك مقام في أي مكان والنبي حي في المدينة يصلي بالناس ويتكلم، فلا تستقر حياة أمته بسبب تَعلُّق أمته به صلى الله عليه وآله وسلم، فأراد النبي أن يعود روحًا تَحُلُّ في سائر الأماكن، وفي سائر الأزمان، حيث إنَّك حيثما عبدتَ الله كان رسول الله فيك ومعك، روحانيًّا لا جسديًّا، فيروق للمسلم أي أرضٍ يعيش فيها، ((وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴿﴾))، فحيثما صَلَّيت أيها المسلم في أي مكان تقول: السلام عليكَ أيها النبي ورحمة الله وبركاته، بكاف الخطاب؛ لأنه موجودٌ في كل مكانٍ، وفي كل زمان، موجود بإمداد روحانيته، إذ لولا إمداد روحانيته للأزمنة ما كانت، وللأمكنة ما ظهرت، وللأجساد ما تَحرَّكَتْ ولا سَكَنَتْ؛ لأنه الرحمة للعالمين، التي أخرج الله بها العوالم من العدم للوجود، وأَمَدَّ العوالمَ بها بأسباب بقائها ووجودها وصلاحها، ثم أَمَدَّ أهلَ التوفيق بأسباب الهداية من خلالها أيضًا ((وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ))، إذًا اختياره للرفيق الأعلى كان رحمةً لأمته وشفقةً عليهم، وتعميرًا للأرضِ حتى لا تتكدس الأمة في مكان واحد حوله فلا ينطلقون لعمارة الأرض حيث شاءوا، ولا ينطلقون لتبليغ دعوته حيث شاء الله، ثم إنه أيضًا لو استمر حيًّا بيننا لاستَمَرَّ الشرعُ إلى ما لا نهاية؛ لأنه لو استمرَّ حيًّا بيننا فسيتكلم كل يوم، وكلامه تشريع، وسيتحرك كل يوم، وحركته تشريع، وسيُقِرُّ أشياء ولا يُقِرُّ أشياء، وهذا كله تشريع، فتظل الأحكام الإسلامية لا حَصْر لها ويَصْعُبُ على الناس تنفيذها؛ لاستمرار التشريع باستمرار حياته، فرَفع الحرجَ صلى الله عليه وآله وسلم، انظر كيف أن اختيارات النبي كلها توفيق، هناك بعض أهل التسرع يقول يا ليته اختار أن يبقى معنا حتى لا يحدث ما يحدث لنا، والله لو بقي لا يمنع بقاؤه قدر الله، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولكن لو بقي لتَعَنَّتَتْ الأمة وصَعُبَ عليها تنفيذ الأحكام، لتجدد الأوامر والأحكام، ومن ثَمَّ أراد أن يكون الأوامر محصورة؛ حتى تستطيع الأمة أن تُنفذها، وتقوم بها وتؤدي ما عليها فتبرأ ذمتها تجاه مولاها، أمَّا لو كان حيًّا، لا تستطيع أن تبْرَأَ

ذمتك أمام مولاك حتى تَطَّلِعَ يوميًا ماذا قال النبيُّ اليوم، وماذا قال بالأمس حتى لا تكون مُخالِفًا لأمرٍ قد استَحْدَثَه أو قالَه وأنت لا تدري، فانظر إلى العَنَت الذي كان قد يحدث لو ظل النبي حيًّا بيننا، أريدك أن تتعلم كيف أن كل اختيارات النبي كانت هي عين الحكمة، فهو عين الحكمة صلى الله عليه وآله وسلم، خيَّرَه الله في أمور كثيرة، خَيَّرَه حتى في رزقه صلى الله عليه وآله وسلم، فأتاه آتٍ وهو في بداية الدعوة وفي بداية ظهور نبوته للناس، وإن نبوته كانت قبل أن يُخلَقَ آدم ولكن هذا في عالم البطون، أما في عالم الظهور، فبمجرد أن بلغ الأربعين أظهر الله نبوته، لأنه كان نبيًّا قبل ظهور نبوته، كما أنك كنت موجودًا قبل ظهور بشريتك أيها الإنسان، كنتَ موجودًا بروحانيتك قبل ظهور بشريتك، هذا في كل البشر، وهو أول البشر صلى الله عليه وآله وسلم، فكان موجودًا قبل ظهور شخصه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، وكان نبيًّا قبل ذلك، ولكن عندما بدأت ظهور نبوته في مكةَ بعد سن الأربعين وكان قليل المال صلى الله عليه وآله وسلم لأن غِنَاه لم يكن بالمال، ولكن غِنَاهُ كان بربِّه، لم يكن غناه بالذهب، فمَن كْان غناه بالذهب ذهب، ومن كان غناه بالفضة انفض، ومن كان غناه بالله فلا يذهب ولا ينفض، فكان صلى الله عليه وآله وسلم أغنى الخلق بالله، ولكن لـمَّا احتاجت الدعوة أموالًا، لتجهيز الجيوش، وللإنفاقٍ في سبيل الله، ولـمَّا كان النبي يأتيه الفقراء من كل جانبٍ من نواحي الجزيرة، الكلُّ يريد أن يأخذ منه ما يَكفيه، فعَرَضَ الله عليه عرضًا عجيبًا، لم يَعرِضْه على مخلوق قبله، جاءه آتٍ وهو في مكةَ وعرض عليه أن يجعل الله له بطحاء مكة وجبالها ذهبًا، وفي يد غيره تراب، انظر لو كُنتَ أنت مكانه، تقول أنا اختار ذلك وأَستعملُ هذا الذهب في سبيل الله، ولكنَّ النبي اختار غير ذلك، فالنبي بُعِثَ للفقير وللغني، فلو اختارَ الذهبَ لكانت بعثته للغني دون الفقير، فالفقير لا يكون له فيه أسوة، فينكسر خاطر الفقير، ثم بعد ذلك تزداد مسئولية الأغنياء؛ لأنهم لا يستطيعون أن يكونوا في مثل مُسَارَعَة النبي في النفقة وفي الصدقات وفي حسن استعمال النبي للمال، فمهما كان الغني غنيًّا حكيمًا لن يُجارِي النبيَّ في ذلك، فيعجز الغني في متابعته، ويفقد الفقير الأسوة فيه لو اختار أن يكون له ذلك الذي خَيَّرَه الله فيه، ولكنَّ النبي لأنه رحمة للعالمين قال لا يا ربي آكل يومًا فأشكر، وأجوع يومًا فأصبر، أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون أسوة للعالمين، للواجد وللفاقد، للغني وللفقير، فلمَّا كان كذلك صلى الله عليه وآله وسلم، أعطاه في الباطن مفاتح خزائن الأرض، فصار النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول في الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه بإسناده إليه قال «بينا أنا نائم أُوتِيتُ بمفاتيح خزائن الأرض»،

فأخذ مفاتح خزائن الأرض، والأرض ((تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا))، كأن النبي يُعطِي أمتَه وسائرَ الخلق خيرات الأرزاق من يده الشريفة، يد روحانيته عند غياب بشريته صلى الله عليه وآله وسلم، ولذا قال: «إنَّمَا أنا قاسم والله يعطي»، فصار هو الذي يعُول الأكوانَ ((وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ))، أي وجدك تحب أن تَعول الفقراءَ وألا تَردَّ مسكينًا وألا تَردَّ سائلًا، وأن تقوم بأعباء كل فقير، فأغناك حتى تُغنِيَ الأكوانَ، ليس الفقير فقط، بل حتى العرش والكرسي يَستمد بقاءَه من روحانيتكَ، والجنة والنار يستمدان بقاءَهما، ونعيمَها، وجحيمَها، من روحانيتكَ، الكلُّ يستمد في عالم الملك وفي عالم الملكوت، فصار هو اليد العليا للأكوان التي هي خير من اليد السفلى؛ لاختياره مرادَ مولاه، لأنه لا يريد أن يكون مُفتقِرًا لغير الله، لأنه لو اختار الذهب لكان مفتقرًا للذهب، لأن الإنسان لا يغتني بالشيء، بل الإنسان إذا اغتنى، اغتنى عن الشيء لا بالشيء، ولذا يقول الإمام الشافعي (الغِنى عن الشيء لا به)، لأنك إذا أعطيتَ الفقيرَ مالًا، ثم قال لك والله أنا لا أحتاج، أنت تقول: إنه استغنَى، عَرضتُ عليه المال فاستغنى، أمَّا لو قبله افتقر لأنه مَدَّ يده وتَكفف الناسَ، فالنبي أراد أن يبين لك معنى الغنى الحقيقي، فالغنى ليس بالشيء، وإنما الغنى عن الشيء، ولذا كان الإمام الشافعي رضي الله عنه ورحمه ونفعنا بعلومه في الدارين آمين يقول تعقيبًا على هذه المعاني كلها شعرًا:

علمتُ القناعة رأس الغنى
فصرتُ بأذيالها مُمتسِك
فلا ذا يَراني على بابه
ولا ذا يَراني به مُنهَمِك
فصرت غنيًّا بلا درهمٍ
أمرُّ على الناس شِبْه المَلِك

فهذا هو الغِنَى الحقيقي، فاختار النبي أن تكون الأمور على مراد الله، فيظل الرمل كما هو، والحجر كما هو، والجبل كما هو، واختار مراد الله؛ لكمال علمه بالله، فلم يُرِدْ أن يتميز على سائر الخلق، بل إرادته هي إرادة مولاه، فليست إرادتان إرادة مولى وإرادة ولي، أو إرادة خالق وإرادة مخلوق، فإن الله جعل إرادته في إرادة نبيه، وإرادة نبيه في إرادته، فالإرادة واحدة والمظهر يتعدد، فاللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله.





وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

أ.د/ فتحي عبد الرحمن حجازي

عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر

قسم اللغة العربية

الحمد لله رب العالمين، حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيد فضله، كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، ووافر آلائه، وسابغ نعمائه. والصلاة والسلام والبركات على سيد السادات والنور الساري في الكائنات، سيدنا محمد، رحمة الله للعالمين، وخاتم النبيين، وشفيعنا يوم العرض على أحكم الحاكمين، وعلى آله الطاهرين، وصحابته المناصرين الأخيار، والتابعين لهم بإحسان ما دام الليل والنهار، جَعَلَنَا الكريم منهم في الأولى والآخرة تحت لواء سيد الأولين والآخرين إلى جنات النعيم، بلا سابقة عذاب ولا هوان يا أكرم الأكرمين... اللهم آمين ... وبعد.

فإن الله –سبحانه–خلق الإنسان من طين، وسواه وغطاه بنعمه حتى يأتيه اليقين، وجعل من الدلائل الواضحة والبراهين الساطعة على أن الخالق هو الله وحده لا شريك له، فلا إله إلا الله، ومعناها لا معبود بحق إلا الله وبهذا المعنى جاءت الرسالات من رب الأرض والسموات على لسان المرسلين، وقد بدأت أنوار النبوات والرسالات من لدن أبينا آدم –عليه الصلاة والسلام– إلى خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم المبعوث رحمة للعالمين إلى يوم الدين، وكان من فضل الله الكريم على عباده أنه لم يأت رسول لعباده في فترة زمنية محدودة، فأهل الفترة ناجون، وفي الجنة خالدون، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم.

فالمولى –تبارك وتعالى جَدُّه– أنعم علينا

بالخلق والرسالات، لنعيش في الحياة على ما يرضي الله مولانا –جل في علاه– ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[الإسراء: ١٥]، وقال لخاتم الأنبياء والمرسلين: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[الحجر: ٩٩] والحمد لله وحده حمدًا كما ينبغي لجلاله أن جعلنا من أمة هذا النبي الكريم، الذي جعله مولاه خاتمًا للنبيين، ورحمة للعالمين، وشفيعا لنا يوم الدين –صلى الله عليه وآله وصحابته والتابعين وسلم تسليمًا كثيرًا– فقد أكرمنا مولانا العظيم الكريم بهذه الكرامة في الأولى والآخرة، لذا قال سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[آل عمران: ٣١].

فيا أيها المؤمنون ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨].

فمن هذا النبي الكريم الذي كرم الله به أمته والعالمين؟ إنه سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وينتهي نسبه إلى عدنان ومنه إلى سيدنا إسماعيل –عليه السلام– بن أبينا إبراهيم –عليه الصلاة والسلام والبركات في الدنيا والآخرة–، وهذا النسب الشريف الكريم اختاره المولى –جلت حكمته– لحبيبه وصفيه سيدنا محمد ليكون معدًا إعدادًا من بدايته إلى ولادته ليكون رحمة لجميع العالمين في هذه الحياة ويوم لقاء الله –جل في علاه–، ولذا ورد عنه – صلى الله عليه وآله وسلم– أنه قال: «خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي , لَمْ يُصِبْنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ»[رواه ابن الجعد والطبراني والبيهقي في سننه الكبرى عن ابن عباس، والآجري والطبراني عن علي ورجالهما من الثقات[1]].

ولله در من قال:

نسب كأن عليه من شمس الضحى
نورًا ومن فلق السما عمودا

ما فيه إلا سيد وابن سيد
حاز المكارم والهدى والجودا

وبهذا البيان نقول: إن الله –عز وجل– واحد كما قال –تعالى–: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[محمد: ١٩]، وكذلك دين الله واحد وهو «الإسلام»، كما قال الله –جل جلاله–:﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران: ٨٥].

وعلى هذا الفهم المستقيم لدين الله رب العالمين نستطيع أن نقول: إن المرسلين توزعوا على عباد الله –سبحانه– في كل زمان حتى ختموا بزمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى قال العلامة: عبد الغني النابلسي[2] –رحمه الله ورضي عنه وأرضاه–:

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٨/ ٢١٤).

(٢) هو الشيخ العلامة العارف بربه صاحب التصانيف العديدة، والتآليف المفيدة: عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي الحنفي الدمشقي النقشبندي (١٠٥٠ - ١١٤٣ هـ) ومن تآليفه: جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص للشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه، وكشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض، وتعطير الأنام في تعبير الأنام.

كل النبيين والرسل الكرام أتوْا

نيابة عنه في تبليغ دعواه

فهو الرسول إلى كل الخلائق في

كل الزمان ونابت عنه أفواه

وفي هذا المقام يقول نبينا – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-: «أنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر» [رواه الترمذي وقال: حسن غريب وله شواهد صحيحة، وكذا رواه الدارمي].

ويقول الإمام فخر الدين الرازي المعروف بابن الخطيب [٣] :

أنت الذي لولاك ما خُلق امرؤ

كلا ولا خلق الورى لو لاكا

أنت الذي من نورك الدر اكتسى

والشمس مشرقة بنور بهاكا

أنت الذي لما رفعت إلى السماء

بك قد سمت وتزينت لسراكا

أنت الذي ناداك ربك مرحباً

ولقد دعاك لقربه وحباكا

أنت الذي فينا سألت شفاعة

ناداك ربك لم تكن لسواكا

إلى أن قال في نهاية القصيدة:

صلى عليك الله يا خير الورى

ما حن مشتاق إلى مثواكا

والحديث عن شمائل المصطفى الحبيب – صلوات الله وسلامه عليه- يطول ولا ينتهي، فكلنا يتحدث عنه بما يستطيع ولا زيادة، وقدره –صلوات الله وسلامه عليه وآله- لا يعرفه إلا مولاه، الذي خلقه وسواه، وأعدَّه برحمته وتولاه، ويكفينا أن صحابته في بداية دعوته امتلأوا حبا له، وإعجابًا به، حتى كانوا يقومون إجلالًا وتقديرًا وتوقيرًا ويجلسون ما عدا سيدنا حسان بن ثابت الذي كان لا يجلس إلا بعد جلوس النبي – صلى الله عليه وآله وسلم- ولما رآه –صلوات الله وسلامه عليه- بهذا الحال كلمه بما معناه لماذا أنت هكذا؟ ولماذا لم تجلس كما فعلوا؟ فقال رضوان الله عليه:

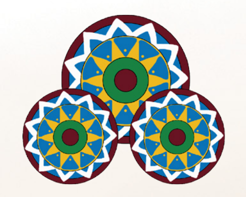
قيامي للعزيز علي فرض

وترك الفرض ما هو مستقيم

عجبت لمن له عقل وفهم

يرى هذا الكمال ولا يقوم

هذا والله الموفق للصواب، والحمد لله رب العالمين



(٣) هو: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، فخر الدين الرازي (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) الإمام المفسر صاحب التفسير الكبير، وهو غني عن التعريف.



الشمسُ في فَلَكِ العلاءِ تجولُ
وعلى الحقيقةِ ما اعتراها أفولُ

وحقيقةُ الإشراقِ حَقٌّ لم يَزَلْ
والظِّلُّ خَلْفٌ والضياءُ دليلُ

والليلُ سِترٌ والنجومُ لمهتدٍ
كالشمس فانظر للصدوقِ يقولُ

أما الغروبُ فهيئةٌ عَرَضَتْ لنا
وبَدَتْ مَعَ سَيْرِ الذلولِ فصولُ

فالشمسُ في حَمَلِ البروجِ ربيعها
فترى النهارَ مع المسيرِ يطولُ

وعلى شهورِ الشمسِ ذلك وعدُها
مهما يدورُ الدورُ ليس يحُولُ

فالاعتدال بدا بسعدِ الأخبية
وسوى الربيعِ مِن الفصولِ عليلُ

هذا ربيع الأرض بالشمس التي
جاءت على الظلِّ الظليلِ دليلُ

فافهم فديتُك مِن مقالةِ شيخِنا:
إنَّ الزمانَ هو المكانُ يسيلُ

أنَّ الزمانَ على الحقيقةِ نِسبَةٌ
وكذا الربيعُ على الحبيبِ دليلُ

في دورةٍ قمريَّةٍ مِن سرِّها
أنَّ الربيعَ مع الفصولِ يجولُ

بل سِرُّ مولدِ خاتَمِ الرُسْلِ انطوى
في كُلِّ يومٍ فالزمانُ جميلُ

فانظر لرمزي إذ عشقتُ مُحَمَّدا
يأتيك في حُلَلِ البيانِ قبولُ

الحمدُ للهِ، وبعد

فالربيعُ ربيعان؛ ربيعُ فصولٍ شمسيةٍ طَبْعُهُ الاعتدال، وربيعُ شهورٍ قمريَّةٍ اختُص بمولدِ من حاز الكمال، صلى الله عليه وآله وسلم وعلى آلِهِ وورثته من فحول الرجال.

قال تعالى: وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين.

فكان ظهوره صلى الله عليه وآله وسلم أجَل نعمةٍ بعد نعمة إخراجنا مِن ظُلمةِ العدمِ إلى نورِ الوجودِ بأنفاسِ الرحمن، وإن شئتَ قُلتَ إن إرسالَه تتمة نعمةِ الرحمةِ، فهي نعمةٌ واحدةٌ وإن بدت نعمتان.

قال تعالى: قال ربنا الذي أعطى كل شيءٍ خلقه ثم هدى.

فحق لنا أن نحتفل بنبي الهدى كل ساعةٍ لا كل عام، ولما لم يتيسر ذلك لأكثر المسلمين جعلوا يوم مولده صلى الله عليه واله وسلم عيدا، والعيد لغةً كل يوم يُحتفل فيه بحدثٍ عزيزٍ أو دينيٍّ، فكان مولده من أعظم الأحداث الدينية.

وعادة العوام في الأعياد الفرح والتوسعة على الأهل في المأكل والمشرب والملبس، ويزيد الخواص عليهم بالتذكير بأيام الله. فواجب كل ولي أمرٍ أن يُعرف من هم في ولايته بشخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وصفاته، وأخلاقه، ودعوته، فإن استوفوا تلك المعارف طلبوا معرفة حقيقته صلى الله عليه وآله وسلم، ومعنى قوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين، وكيف أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجسام، وأنه تعالى كما رتب خلق الأجسام، فأخَّر خلق الإنسان عن سائر الحيوان لتمام البنيان، وخلق آدم بيديه فكان أبا البشر، وأول الأنبياء، وجعل سيدنا محمداً أكمل الخلق وخاتم الأنبياء، كذلك رتب في عالم أمره خلق الأرواح، فبدأ بما شاء أن يختم به، فكان روح سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أول الأرواح لكمال الدور، فليس أكمل في الأشكال من الدائرة. فناسب العيد هذه السنة الإلهية الكونية، فالعيد عود، أي إعادة، وفي هذا الشهر المبارك نحتفل بمولده صلى الله عليه وآله وسلم، وتلك سُنَّةٌ حسنةٌ تحفظها الأمة الإسلامية، وإن كان لمثلي أن يشارك في الاحتفال بمولده صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ساهم أكابر العلماء بالتعريف به والاحتفاء، فلتكن مشاركتي بقصيدة كنت قد كتبتها في حقيقته صلى الله عليه وآله وسلم، ثم سألني بعض من لا يسعني إلا إجابة سؤله أن أشرح بعض معانيها ففعلت ذلك على استحياء، فقلت:

لما تعاظَمَ منطقُ الزُّمناءِ

وجَنى الشريعةِ ما دنا متدلياً
إلَّا لطائفةٍ مِنَ الأُمناءِ

وتوَهَّمَ الصبيانُ أنَّ طريقَنا
قولٌ ويجهَلُهُ سوى النُبهاءِ

وكأنَّ عينَ الشرعِ غيرٌ حقيقةٍ
ألقت ببُرقُعِها لدى الفُقراءِ

والكشفُ يُعطي أنَّ شرعَ مُحَمّدٍ
أجلى الحقيقةِ دونَ أيّ مِراءِ

إن كان في لفظِ السيادةِ رِفعةٌ
للمادحينَ خجلتُ مِن إطرائي

فصفاتُهُ مثلُ الرؤوفِ وغيرِهِ
خِلَعٌ وقد جَلّتْ عن الإحصاءِ

يا سيدي إني لأشهَدُ أنَّكَ
ختْمُ النُبُوَّةِ قبلَ خَلْقِ الماءِ

ومُحَمَّدٌ وصفُ الإلهِ لذاتِكَ
فمُحَمَّدٌ هو سيِّدُ الأسماءِ

أسماءُ حقِّكَ فالإلهُ مُنَزَّهٌ
ولذا احتميتُ بذاتِكَ العصماءِ

وكذاك أعلَمُ أنَّ سُبْحةَ وجْهِهِ
في وجْهِهِ جَلّتْ عَنِ الإبداءِ

فإذا الإرادةُ أن يرى؛ ما قد رأى؛
في غيرِهِ أبداك محضَ صفاءِ

وجلاكَ مرآةً لخالصِ نورِهِ
مَن قالَ في المرآةِ حلَّ الرائي!

حاشا ولا المرئيُّ، إذ هو صورةٌ
فيها تَنَزَّهُ أعيُنُ العُقلاءِ

فالكونُ خلْقُكَ فائضٌ عن فائضٍ
جَلَّ المفيضُ عن المثيلِ النَّائي

والكُلُّ فيضٌ حادثٌ عن حادِثٍ
والسترُ أبرَزَ حِكمةَ الإنساءِ

يا سيدي إنّي أقولُ للائمي
لما تلحَّفَ خِلعةَ العُلماءِ

أتُراك تذكُرُ مِن ألستُ سوى الذي
نتلوهُ في الإصباحِ والإمساءِ

أم أنت تشهدُ عهدَهُ أو قبلَهُ
بئسَ الفناءُ بأبحُرِ الأهواءِ

فالحادِثُ الأزليُّ محضُ حقيقةٍ
قبلَ الزمان، ومبدأُ الإنشاءِ

ولِذا تلاهُ اللوحُ مِن أنوارِهِ
حتى بدا الميزانُ للعذراءِ

أمَّا الإلهُ فأوَّلٌ هو آخِرُ
لا شيء بين اسميه في الأشياءِ

فالذاتُ كالألِفِ الحقيقِ تنزَّهَتْ
عن منطقٍ في شرعةِ البُلغاءِ

إن كان آدمُ أولَ النشءِ الذي
قد خَصَّهُ الرحمنُ بالأسماءِ

فمُحَمّدٌ خيرُ الخلائقِ كُلِّهِم
هلّا وسمتَ محمداً بالباءِ

قد كان مَظهَرَ نورِهِ إذ قد بدا
في نورِهِ نوراً بغيرِ ضياءِ

وحقائقُ الهَيَمانِ كلٌّ عارفٌ
أنْ لا سواهُ بحكمةِ الإفناءِ

والكُلُّ في نورِ الحقيقةِ هائمٌ
إذ لا مكانَ بحضرةِ الإخفاءِ

فجواهرُ الكنزِ الخفيّ حقائقٌ
مخفيَّةٌ ترجوهُ محضَ ضياءِ

فإذا بدا منه الضياءُ تلألأت
وتعارفت في حضرةِ الإحياءِ

وحقيقةُ القلمِ العليّ قد انجلتْ
واللوْحُ يقبلُ صورةَ الإملاءِ

فتوالتِ الأعراسُ فاشهدْ ما جرى
لترى الطبيعةَ زُوِّجتْ بهباءِ

والعرشَ يزهو إذ أحاط بذاتِهِ
نورٌ هو الرحمنُ في الاسماءِ

والاستواءُ حقيقةٌ مجلوَّةٌ
والكونُ فرْشٌ شاسِعُ الأنحاءِ

والخلقُ يبرُزُ والحقائقُ تنجلي
لفؤادِ من يرقى مِن النُجباءِ

ومُحمَّدٌ في كَنْزِهِ إذ لم تزل
تترى الصلاةُ عليه عند الهاءِ

(لما تعاظَمَ) أي تعالى وارتفعَ (منطقُ) أي ما نَطَقَ بِهِ (الزُمناءِ) المرضى، كما يُقالُ: رَجُلٌ زَمِنٌ؛ أي مريض؛ والمرضُ المُزْمِنُ هو ما لا يُرجى مِنهُ شِفاء. (وتفاخرَ الأقوامُ) وتباهوا (بالأدواءِ) يعني العِلل كالكِبر إذ يحسَبُه المريضُ ثقةً واعتزازاً بالنَفْسِ، والجَهلِ عِندَ مَنْ اتخذَ العِلمَ سبباً للظهورِ والشفوفِ على الأقرانِ فصارَ حالهُم مَع العِلْمِ حالَ الجُهلاءِ وَهُم لا يشْعُرُون. (وجَنى الشريعةِ) أي ثَمَرُها ومَحْصُولُها (ما دنا) واقتربَ (متدلياً) لعلُوِّ مَنزلةِ الشريعَةِ (إلّا لطائفةٍ) يعني جماعة مخصوصة (مِنَ الأُمناءِ) على أحكامِها المنَزَّلةِ، (وتوَهَّمَ الصبيانُ) الحُدَثاء، والصَبيُّ دونَ الغُلام، ويُقال صَبِيَ الرَجُل إذا فَعلَ فِعلَ الصبيان، وصبى أي مال إلى الشيء كمَنْ توَّهَم (أنَّ طريقَنا) الذي نسْلُكُ عَلَيْهِ وهُوَ طريقُ السَلَفِ مِن العُلَماءِ أهْلِ التحقيقِ والصوفيَّةِ حَفَظَةِ هذه الطَريقِ (قولٌ) أي توَهَّم هؤلاءُ أنَّ طَريقَ القَومِ قَولُ يستَشكِل على بَعضِ النَّاس لكون الأكابرَ قد اعتمدوا سترَ بعضِ ما حَصَّلوهُ بطريقِ المجاهداتِ، وذلك باستعمال

اصطلاحاتٍ بينهم كسائر أصحابِ العلومِ والفنونِ، وكذا استعملوا الإشاراتِ والرموزَ حتَّى ظَنَّ بعضُ مَن انتَسبَ إليهم ظاهراً ولم يتحققْ بما تحققوا به أن قولَهُم مُشْكِلٌ (ويجهَلُهُ) فلا يصلُ إلى مقاصِدِهِم (سوى النُبهاءِ) مِن أصحابِ النَظر الفِكريّ مِمَّن غَفلوا عمَّا نَبَّهَ إليهِ العُلماء مِن أنَّ ما توَصَّلوا إليهِ بالمجاهدات والرياضات لا يصل إليه غيرُهم بغيرِ عَملٍ، وهذا مَحضُ ظَنٍّ مِن هؤلاءِ الدُخلاءِ الذين تَصَوَّروا (وكأنَّ عينَ الشرعِ) المنَزَّل (غيْرُ حقيقةٍ) بل الحقيقة عينُ الشريعةِ حيث (ألقت ببُرقُعِها) أي رَفَعتْ نِقابَها (لدى الفُقراءِ) مِمَّن سلكوا الطريقةَ التي هي برْزَخٌ بين الشريعةِ والحقيقةِ التي هي باطِنُها (والكشفُ) وهو رفع الحجاب عن الحقائق (يُعطي أنَّ شرعَ مُحمّدٍ) صلى الله عليه وآلِه وصحبِه والتابعين إلى يوم الدين (أجلى) أي أظْهرُ وأوضَحُ (الحقيقةِ) أعني الحقائق (دونَ أيّ مِراءٍ) ولا شَكٍّ ولا جِدَالٍ. ولّما ذَكر الفقيرُ اسمَ محمَّدٍ دُونَ لَفظِ السيادَةِ لضرورةٍ ما سوف تظهرُ في حينها، قال (إن كان في لفظِ السيادةِ) الذي درجت على ذِكره الأمة عند ذِكر رسولِ الله صلى الله عليهِ وسلم (رِفعةٌ للمادحينَ) حيث قال صلى الله عليهِ وسلم «أنا سَيِّدُ ولدِ آدمِ ولا فَخر» أي لا أقولها افتخاراً، بل قالها إعلاماً بمقامه الشريف ولذا قال الفقير أنه ما دام وصف السيادةِ في حقِّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ليس مدحاً له (خجلتُ مِن إطرائي) على نفسي بنسبتها إلى سيدِ الخَلقِ صلى الله عليه وآله وسلم، وكذا فإن كل ما يصفه به الواصف يعودُ نفعه على الواصِف لا عليه صلى الله عليه وآله وسلم (فصفاتُهُ) التي وصَفَهُ الحقُّ تعالى بها (مثلُ الرؤوفِ) في قوله تعالى (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (وغيرِهِ) مِن الصفات كالهادي والنور والسراج (خِلَعٌ) أي ملابِس خلعها الحقُّ تعالى عليه (وقد جَلّتْ عن الإحصاءِ).

ولَمَّا كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حضورٌ عند كل ذِكرٍ له حتى أنه صلى الله عليه وآله وسلم يَردُّ السلامَ على مَن سلَّم عليهِ، قال الفقير (يا سيدي) امتثالا لأمر الله تعالى جَلَّ مَنْ قال (لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا). فوَجبَ ما جاء بِهِ الفقير في هذا الموضع حيث قال: يا سيدي أي يا رسول الله صلوات الله عليك (إني لأشهَدُ أنَّكَ ختْمُ النبُوَّةِ) لقوله تعالى (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) وذلك (قبلَ خَلْقِ الماءِ) وقد وَرد في الحديث «إني عندَ اللهِ مكتوبٌ خاتَم النبيين وإنَّ آدم لَمُنجَدِلٍ في طينَتِهِ» (ومُحمَّدٌ) وإن كان اسمُك صلوات اللهِ عليك، فإنما هو مِن حيث أصله (وصفُ الإلهِ لذاتِكَ) فهو أعظمُ المدحِ ومن هذا الوجهِ (هو سيِّدُ الأسماءِ) وقد قال بعضُ العارفين أن محمداً هو الاسم الأعظم، قال الشيخُ الأكبر محيي الدين بن العربي في تنبيهاته شارحاً مقصدهم أن قولهم فيه أنه الاسم الأعظم يعني أن اسم محمدٍ أعظم أسمائه صلوات الله عليهِ. أقولُ وإن كان

وإن كان مِن حيث ذاتهِ أعظم دالٍ على الله ولكن هذا المعنى لا يقوى على استحضارهِ كلُّ أحد، وإن كان فلا يكون في كل حالٍ، فكان لاسمه الذي أنزله الحق تعالى قرآنا رتبة السيادة في سائر الأسماء التي أشار إليها الفقير بقوله (أسماءُ حقِّكَ) التي تحققت بها، ولا يتوهم أحدٌ غير ذلك من الأسماء الإلهية (فالإلهُ مُنَزَّهٌ) عن مشاركةِ أي أحدٍ له في أسمائهِ وصفاتهِ (ولذا احتميتُ) في معرفتهِ تعالى (بذاتِكَ العصماءِ) التي يُلتجأ إليها فيما لا طاقة لغيرك به مِن معرفةِ الحق تعالى. (وكذاك أعلَمُ) أي كما عَلِمت بإعلام الله برتبتك السنية ومقاماتك العليَّة أعلم (أنَّ سُبْحةَ وجْهِهِ) وهي تجليه بذاته؛ حيث وجهُ الشيءِ حقيقَتُه (في وجْهِهِ) أي لذاته (جَلّتْ) تلك السُبحات في ذلك التجلي الذاتي (عَن الإبداءِ) أي عَن الإظهارِ، وقد نبّه على ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله «إن لله سبعين حجاباً مِن نورٍ وظلمة لو كَشفها لأحرَقتْ سُبحات وجْهِهِ كُلَّ ما أدركَهُ بصرُهُ» فبان لنا أن تجليه سبحانه بذاتهِ لذاتهِ لم يُبدِ شيئا، وقد تعَسَّف جماعةٌ ممن خاضوا في الكلامِ عن الحقيقة المحمدية فقالوا أنها عبارة عن تجلي الذات الإلهية وليس الأمرُ كذلك وإن كان كل ما ظهر في الأكوان عبارة عن تجليات شئونه تعالى، فأما تجليهِ لذاته بذاته بلا حجاب فلا مدخل للعقول في إدراكهِ ولا يُتصوَّر أن يكون عنه ما يُدرك لِما ذكرناه فذلك شهوده تعالى لذاته جَلَّت عن إدراكِ خلقِهِ (فإذا الإرادةُ) أي فإذا اقتضت الإرادةُ الإلهيةُ (أن يرى) سبحانه (ما قد رأى) أي في نفسه من من نفسه (في غيرِهِ) وذلك المعَبَّرُ عنه بالإبداعِ والإيجاد والخلق والجعل وغير ذلك مما أشار إليه تعالى بقوله في الحديث القدسي (فأحببتُ أنه أعرَف) بضم الألف (أبداك) صلوات الله عليك في تلك الحضرةِ (محضَ صفاءٍ) مِن النور الخالِصِ الذي سوف يأتي بيانه عن قريب (وجلاكَ مرآةً) قابلةً (لخالصِ نورِهِ) وهو نورِ جلالِه في حضرةِ غيبِهِ إذ لا يحتمل جلالَهُ سواه تعالى، وحقيقته صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الحضرة عبارة عن مجلاه تعالى له جلّت ذاته عمّا يقول المبطلون (مَن قالَ في المرآةِ حلَّ الرائي!) وهذا مما يعلمه كل عاقلٍ ناظر (حاشا) أن يحلَّ الرائي في المرآةِ (ولا المرئيُّ) يَحِلُّ فيها إن كان غير الرائي (إذ هو) أعني أيَّ مرئي (صورةٌ) ظهرت في المرآةِ (فيها تَنَزَّهُ) أي تتنزه فيها (أعيُنُ العُقلاءِ) مِن الناظرين. وذلك مثالٌ معلومٌ عند أهل طريقتنا نصبه الحق تعالى للتقريب، وكما لا يتصوّرُ أحدٌ حلولَ الصورةِ في المرآةِ، كذلك لا يتصورُ عاقِلٌ أن النور الخالص المعبَّرُ عنه عند بعض الأكابرِ بالنور الذاتي قد حلَّ في مَحلّ فيضِه، إنما النورُ في سريانه ينصبغ بصبغةِ القابل فيأخذ حكمه، وسوف يزيد بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى ولذا قال الفقير (فالكونُ خلفَكُ) صلوات الله عليك في تلك الحضرة النورية (فائضٌ) مِن كونه نوراً (عن فائضٍ) سابقٍ في المرتبةِ والوُجُودِ (جَلَّ المفيض) الحقُّ سبحانه وإن أعطى نورُه لكلّ نورٍ صفةَ الفيض (عن المثيل النائي) أي جل أن يكون له مثيل في فيضِه وإن نَصَبَ سبحانه الأنوارَ مثالاً كما قال تعالى

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ فضرب لنوره القديم مثلا حادِثا للتفهيم (والكُلُّ فيضٌ نوراني) (حادثٌ) لتنَزُّه نورِه تعالى عن المجانسة والمخالطة ولكنَّ حقيقةَ نورِه تعالى اقتضت أن يفيضَ حادثٌ (عن) فيضٍ (حادِثٍ) بترتيبٍ سببي (والسترُ) الذي اقتضته الرحمةُ الإلهية فأسدلت الحُجب النورانية التي لولاها لما ظهرت الأكوان، ولو كشفها لاحترقت الأرواحُ والأبدان، فذلك السترُ (أبرزَ حِكمةَ الانساءِ) أي التأخير، ولذا أخَّرَ تعالى بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وآلِهِ وسلم ليكون عين البدء عين الختام.

ولَمَّا كانت تلك الحقائق مما لا يَصح الخوض فيه بفِكرٍ ولا أن يُصوره وَهْمٌ قال الفقيرُ إلى عفو رَبِّهِ ورَحْمَتِهِ (يا سيدي) صلوات الله عليك اشهدْ (إنِّي أقولُ للائمي) ممن يخالف قولُهُ ما اتفق عليه سادتنا أهلُ التحقيق مما نحن عليه من الاعتقاد (لِما تلحَّفَ) ذلك المخالِف (خِلعةَ العُلماءِ) وهو لا يدري أنها مما لا يُتلحَّف به، إنما يتلحف النائم العاطِل (أتُراك) أيها المخالِف (تذكُرُ مِن ألستُ) أي من ذلك الميثاق (سوى الذي نتلوهُ في الإصباح والإمساءِ) مِن قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ فهل جاوزت أيها المخالف العلم بظاهر الآية (أم أنت تشهدُ عهدَهُ) المشار إليه (أو قبلَهُ) أو تشهد ما قبله مِن العهود والمواثيق التي أشار إليها أهلُ التحقيق ممن فنوا عن الخلق فأقامهم الحق تعالى لما تنزَّهوا عن الأغراض وذلك مما لا يصح أن يدَّعيه كل مُدَّعٍ (بئسَ الفناءُ) الذي يتلبَّسهُ المدعون الغارقون (بأبحُرِ الأهواءِ) فيتكلمون بما يُوهم بسعة علمهم وعلوّ رتبتهم فينسبون المحدَثِ إلى القِدَم مِن وجهٍ لم يقل به أهل التحقيق، (فالحادِثُ الأزليُّ) الذي تكَلَّم فيه بعضُ القُدماءِ (محضُ حقيقةٍ) أي حقيقة محضة، وقد سموها حادثٌ لأن الحدوثُ حقيقتها وإنما وصفوا ذلك الحادث بالأزلي مِن حيث كونه (قبلَ الزمان) الذي لم يكن إلا بتمام خلق السموات والأرض، بل أنَّ صفة أزليته في زعمِ مَن قال بها مِن القُدماء قبل خلقهِ، وهي عندهم عبارة عن ثبوت عينه في علم الله القديم. وعندنا أن العين الثابتة لا توصفُ بالوجود ولا العدم، فوصفوه بالحادث الأزلي لا من حيث وجوده، بل من حيث علم ربه تعالى به، وقد وصف الشيخ الأكبر ذلك الثبوت بكونه عبارة عن شيئية المعدوم الممكن، ولا يصح أن نمدح بهذا الوصف حقيقةً كانت ما كانت إذ لكل شيءٍ عينٌ ثابتةٌ ولا فرق في ذلك بين بَشرٍ وحَجر. فإن وافقنا من وصف محض حقيقته صلى الله عليه وآله وسلم بالحادث الأزلي قيدنا قوله بأن الأزلية المقصودة إنما هي لعدم الزمان فلم نصف حقيقته بالقِدم الذي تفرَّد به الحق تعالى،

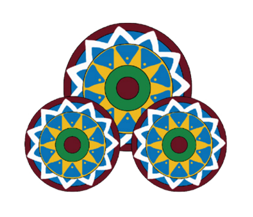
فحقيقته صلى الله عليه وآله وسلم عبارة عن النور الفائض (ومبدأُ الإنشاءِ) ولذا سموها حقيقة الحقائق مِن وجه، والقَلمُ الأعلى مِن وجه (ولِذا تلاهُ اللوحُ) وهو النفس الكلية باعتبار أن القلمُ هو العقلُ الأول، فاللوح أول مخلوقٍ عن سببٍ هو القلم، وهو (مِن أنوارِهِ) ثم توالى ظهور الأكوان (حتى بدا الميزانُ) كما قال تعالى (وَالسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ). فلمَّا وضع سبحانه الميزان دارت الأفلاك فكان الزمان، وما زال الأمر كذلك إلى دورة كان حكم الزمان فيها (للعذراءِ) مِن الأبراج، قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه أن في تلك الدورة خلق الله أولَّ الجسوم الإنسانية يعني جسم آدم عليه السلام. ومن عَلِم ذلك وشاهد التوالي أيقن أنه لا يصح وصف حقيقته صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بالقِدم أصلا مع سبقها، إذ أولية المحدَث لابد لها من ثانٍ (أمَّا الإلهُ) تنَزّهَ عن مشاركةِ غيره له في المعنى (فأوَّلٌ هو أخِرُ) أي أوَّلٌ لا ثاني له، وآخِرٌ لا سابقَ له (لا شيء بين اسميه) الأول والأخِر (في الأشياءِ) أي من الأشياءِ والحقائق والصُوَر. (فالذاتُ) مِن حيث التقريب كما قال أهل هذا الشأن (كالألِفِ الحقيقِ) أعني حرف الألف في كل لسان فإنها؛ أي الألِف؛ (تنزَّهَتْ عن منطقٍ) لأن الألف عبارة عن هواء فإن انقطع عند مخرجٍ مِن مخارج الحروف سُمي باسم الحرف الحادث بانقطاع الهواء عند ذلك المقطع ولا يُسَمَّى ذلِكَ الحرفُ الحادِثِ ألِفاً، وذلك متَّفقٌ عليهِ (في شرعةِ البُلغاءِ) فانظره. فأولية الحقّ تعالى أوَّليةُ القِدَم، وأولية الحقيقة المحمَّدية أولية الحدوث

في عالم الحقائق النورية الكونية فإن لكل جنسٍ أو صَنفٍ أو قِسمٍ أو ما كان وصفه أول، وكذلك (إن كان أدمُ) عليه الصلاة والسلام (أولَ النشءِ) الإنساني، وهو أول الخلفاءِ (الذي قد خَصَّهُ الرحمنُ بالأسماءِ) كما قال تعالى (وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا) فمُحَمّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم (خيرُ الخلائقِ كُلِّهم) كما اتفق على ذلك جماعة العلماء، (هلّا أرَحْتَ نَفْسَكَ إن كنت عاقلا، وفعلتَ مثلي إذ اقتدَيتُ بشيخي حيث (وسمتَ محمداً) صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه (بالباءِ) فإنَّ للباءِ مِن العدد الاثنين وهو أول الكثرة، كما أن لها الرتبة الثانية إشارة إلى الإمكان لما كان الأولُّ هو الواجِب سبحانه. فإن شئتَ مزيداً مِن التحقيق في رتبة حقيقته صلى الله عليه وآله وسلم، فاعلم أنه (قد كان مَظهَرَ نورِهِ) لا نورُهُ، إذ أن العماء كان أول قابِل لسريان النور الذاتي الذي هو نور الجلال، وقد جاء في الحديث أن الله تعالى كان قبل أن يخلقَ الخلقَ في عماء ما فوقَه هواء وما تحتَه هواء، أي غير محمولٍ، وتلك قبليةٌ لفظيةٌ للتقريب، فالحقيقة تعطي أنه لا قبلَ ولا بعدَ في تلك الحضرة إذ لم يكن الله تعالى قد خلق الزمان، فالعماءُ أوَّلُ مَظهَرٍ ظهرَ فيهِ النورُ الذاتي كما ظهر في قوله تعالى (اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) فلمَّا انصبغَ ذَلِك العماء بنورِ الجلالِ فتحَ اللهُ تعالى فيه صوَر الملائكةِ المهيَّمين ومنهم القلمُ واللوحُ كما أشرنا من قبلُ، وقد خلقهم سبحانه دُفعةً واحدةً، وليس منهم مخلوقٍ عن سببٍ قبله إلا اللوح الذي هو النفسُ الكُلِّية؛ هكذا قال

الشيخ الأكبر رضي الله عنه؛ فهذا معنى كون حقيقته صلى الله عليه وآله وسلم مظهر ذلك النور. الذي عبَّرنا عنه بالمرآة، فهو مظهره له سُبحانه مِن حيثُ لم يكُن غيرُهُ (إذ قد بدا) نورُ الحقيقة (في نورِهِ) أعني في نور الجلالِ (نوراً) خالصاً لا يُرى كما قال صلى الله عليه وآله وسلم «نورٌ أنَّى أراه، فهو في تلك الحضرة نورٌ (بغيرِ ضياء) في نورِ صَبَغ العَماءَ، ثُمَّ كان تجليه تعالى بنور الجمال ولذا كان الملائكة مهيمين (وحقائقُ الهَيَمانِ) أي حقائق عالَم الهيمان مِن الملائكة (كلٌّ عارفٌ أنْ لا سواهُ) بحُكم انصباغ العماء بنوره تعالى الذي لا يقبل الغيرية ولا يحتمله السِّوى، وإن شئتَ قُل (بحكمةِ الإفناءِ) فكان نوره صلى الله عليه وآله وسلم من حيث انصباغه في ذلك التجلي بنور الجمال عبارة عن حجاب العزَّة الأحمى (والكُلُّ في نورِ الحقيقةِ) المحمدية (هائمٌ) حيث لا تمايُز بين الحقائق قبل شهود صوَرِها (إذ لا مكانَ بحضرةِ الإخفاءِ) إنما هذه الحضرة حضرة النور الفائض قبل المكانِ (فجواهرُ الكنزِ الخفيِّ) المشار إليه في الحديث القدسي بقوله تعالى «كُنتُ كَنزا لا أعرف» فجواهرُ ذلك الكنز (حقائقٌ مخفِيَّةٌ) في نورِهِ (ترجوهُ محضَ ضياءٍ) كي تُرى وتَبرُزُ في عالم الأكوان كما قال تعالى (هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً) فكان النورُ حِجاباً فلا تنظر للنورِ فتعمى، ومِن هُنا ضلَّ مَن ضَلَّ لما نظر لحقيقته صلى الله عليه وآله وسلم فتوَهَّمَ أنه النور الذاتي لا أنها أولُ قابلٍ له، فبقبوله نورَ الجلالِ كان نوراً وحِجاباً (فإذا بدا منه الضياء) لما تجلَّى سبحانه

عليه بنور الجمال المشارُ إليه فيما سبقَ (تلألأت) فأضاءت الحقائقُ (وتعارفت) وكان ذلك أول ظهورها (في حضرةِ الإحياءِ) وعالَمِ الإمكان (وحقيقةُ القلمِ العليِّ) التي كانت أولَ الملائكةِ المهَيّمين (قد انجلتْ) وبرزت فقال تعالى للقلم اكتب (واللوْحُ يقبلُ صورةَ الإملاءِ) فكان ظهورُ جواهرِ الكنزِ الخفي بالأمر الإلهي (فتوالتِ الأعراسُ) وظهرت الطبيعة ثم الهباء (فاشهدْ ما جرى) تكن ممن لهم (قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ) فانظر (لترى الطبيعة زُوِّجتْ بهباءٍ) فظهر جسمُ العالَمِ وشكلُهُ (والعرشَ يزهو) فخراً وفرَحاً (إذ أحاط بذاتهِ) يعني ذات العرشِ وحقيقتهِ لا صورتِهِ فَحَسب (نورٌ هو الرحمنُ في الاسماءِ) لقوله تعالى (ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا) (والاستواءُ حقيقةٌ مجلُوَّةٌ) لا خلاف فيها عند أهل السنةِ والجماعة (والكونُ فرْشٌ) أحاط به العرشُ فهو (شاسِعُ الأنحاءِ) كما جاء في الحديث مِن قولِهِ صلى الله عليه وآله وصحبه والتابعين «ما السموات السبع مع الكُرسي إلا كحَلقة مُلقاةٍ في فلاةٍ وفَضلُ العرشِ على الكُرسي كَفَضْلِ الفلاةِ على الحلقةِ» أو ما قال صلى الله عليه وآله وسلم مما هذا معناه. (والخلقُ يبرُزُ) حجاباً وراءَ حِجاب رحمةً بالعالمين فلا تحرقهم سُبحات وجهه الجليل (والحقائقُ تنجلي) لا لأهل الأهواءِ والأغراضِ بل (لفؤادِ من يرقى مِن النُجباءِ) رضي الله عنهم وجعلنا منهم

بمحضِ فضلهِ. (ومُحَمَّدٌ) صلى الله عليهِ وسلم (في كَنْزِهِ) لم يكشف الله لأي أحدٍ عن حقيقتهِ (إذ لم تزل تترى الصلاةُ عليهِ) فتزداد حقيقته نورا (عند الهاءِ) أي في حضرة الهوية الغيبية، فالحمدُ لله وسبحان الله وما أنا مِن المشركين.





أبانَ مولِدُهُ عن طِيبِ عُنصرِهِ

يا طِيبَ مُبتَدإٍ منه ومُختَتَمِ



دلائل الخيرات: أجل كتاب في الصلاة على سيد الكائنات

د. محمد وسام خضر
مدير إدارة الفتوى المكتوبة
بدار الإفتاء المصرية

facebook.com/Mohammad.Wesam.Khedr

«دلائل الخيرات»: هو «أجلّ كتاب أُلف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم» كما يقول شيخ الشافعية في عصره العلامة الفقيه سليمان الجمل [ت١٢٠٤هـ] في شرحه «المنح الإلهيات» (ق: ٤، مخطوط)، وهو الكتاب الذي «عمَّت بركته الأرض»؛ كما يقول الإمام أبو العباس أحمد التُّنبكتي [ت١٠٣٦هـ] في «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» (ص: ٥٤٥، ط. دار الكاتب)، «ورزقه الله من القبول والاشتهار ما لم يُعْط لغيره»؛ كما يقول حافظ عصره العلامة محمد مرتضى الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (٢٨٩/٣، ط. المطبعة الميمنية ١٣١١هـ).

وقد اعتمد العلماء والأئمة هذا الكتاب الجليل عبر الأعصار، وأوصوا به في مختلف الأمصار، وكُتِبَ له من القبول في الأمة الإسلامية ما لم يُكتَب لغيره من الكتب والمصنفات في هذا الموضوع على كثرتها، وقد لهج به العلماء والأولياء والصالحون ذكرًا وقراءة وشرحًا منذ زمان تأليفه إلى يومنا هذا، من غير نكير.

اسمه ومؤلفه

واسم هذا الكتاب المبارك: «دلائل الخيرات وشوارق الأنوار، في ذكر الصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وآله وسلم» للإمام الشريف الحسيب النسيب زين الأولياء وسيد العلماء العارف بالله تعالى الشهيد أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي الحسني المالكي [ت٨٧٠هـ]، صاحب القدم الراسخ في فقه الإمام مالك رضي الله عنه؛ حتى كان يحفظ كتاب «المدونة» عن ظهر قلب، ويحفظ فَرْعِيَّ ابن الحاجب؛ كما جاء في «كفاية المحتاج» (١٨١/٢، ط. أوقاف المغرب)، و«ممتع الأسماع» (ص: ٦، ط. مطبعة حاضرة فاس).

منهجه ومستنده

و«دلائل الخيرات» هو كتاب جمع فيه مؤلفه

كثيرًا مما ورد في صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الفضلاء الأخيار، والعلماء الأبرار، والأولياء الأطهار، مما رتبوه في أورادهم أو سطروه في تآليفهم، ومما فتح الله به على مؤلفه رضي الله عنه؛ ممتثلًا بذلك الأمر الشرعي بإحسان الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الوارد في حديث ابن مسعود رضي الله عنه موقوفا ومرفوعًا: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فَأَحْسِنُوا الصَّلَاةَ عَلَيْه» رواه ابن ماجه في «السنن»، وعبد بن حميد وأبو يعلى في «المسند»، وابن أبي خيثمة في «التاريخ»، وغيرهم، وحسّنه جمعٌ من الحفّاظ كالمنذري، وابن حجر، وصححه الحافظ مغلطاي.

وإحسان الصلاة: يحصل بكل ما يؤكد مقاصدها، ويبلغ مرادها، ويفصح عن الشرف النبوي، ويبين مظاهر الكمال المحمدي؛ اعتناءً واقتداءً، وتمجيدًا وثناءً، وفي ذلك إذنٌ بالصلاة عليه بكل ما يمكن ذكره به من صيغ حسان، وأوصافٍ ومعان، وإذن باستحداث ما يستطاع من الصيغ الفصيحة المعبرة عن ذلك؛ على وسع ما تصل إليه بلاغة المرء في التعبير اللائق عن خير الخلائق صلى الله عليه وآله وسلم من غير تقيد بالوارد؛ كما قرره المحققون ودرج عليه العلماء والصالحون، سلفًا وخلفًا من غير نكير؛ حتى فعل ذلك الصحابة والتابعون، وتتابع عليه العلماء والأولياء والعارفون، عبر الأعصار والقرون، وتفنن علماء الأمة وأولياؤها وعارفوها في صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم نثرًا ونظمًا بما لم تبلغه أمة من الأمم في حق نبي من الأنبياء صلى الله عليهم وسلم.

قال الحافظ جمال الدين بن مُسْدِي [ت٦٦٣هـ] -فيما نقله عنه الحافظ السخاوي في «القول البديع» (ص: ١٤٦، ط. الريان)-: [وقد رُوِيَ في كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحاديثُ كثيرة، وصنَّف في ذلك جماعة جمعوا الأبواب وهذَّبوا التراجم.

وذهب جماعة من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم: إلى أن هذا الباب لا يوقف فيه مع المنصوص، وأن من رزقه الله بيانا فأبان عن المعاني، بالألفاظ الفصيحة المباني، الصريحة المعاني، مما يُعرِب عن كمال شرفه صلى الله عليه وآله وسلم وعظيم حرمته، كان ذلك واسعًا، واحتجّوا بقول ابن مسعود رضي الله عنه: «أحسنوا الصلاة على نبيكم؛ فإنكم لا تدرون لعل ذلك يُعرَض عليه»] اهـ.

تواتر الثناء من العلماء والأولياء

ولما كان هذا الكتاب الشريف المبارك العالي القدر من أعظم مظاهر امتثال الأمر الشرعي بإحسان الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد سرى في الأمة مسرى الشمس في الآفاق، وانعقدت عليه الخناصر، وتعلقت به الأواصر، وعُقِدَت له المجالس، وانهالت عليه المدائح، التي جادت بها من العلماء القرائح، بعد

أن فاحت من الدلائل طيبات الروائح:

فوصفه العلامة المحقق عبد الرحمن بن محمد الفاسي المالكي [ت١٠٣٦هـ] في شرحه «الأنوار اللامعات في الكلام على دلائل الخيرات» (ق: ٤/أ، مخطوط) بأنه «مِن أفضل ما صُنِّف في كيفية الصلاة على النبي المختار، وكان الاعتكاف والدوام على قراءته من وظيفة الأبرار، ومن أجَلِّ ما تحلَّى به -حتى صار هِجِّيرَاهم- المقربون الأخيار».

وعده العلامة الحاج خليفة [ت١٠٦٧هـ] في «كشف الظنون» (١/٧٥٩، ط. مكتبة المثنى) «آية من آيات الله في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، يُواظَبُ بقراءته في المشارق والمغارب، لا سيما في بلاد الروم».

ومدحه مفتي فاس الإمام العارف الرحّالة أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العَيّاشي [ت١٠٩٠هـ]، ووصف ما يحتويه بقوله:

عليك بما يحويه هذا المؤلَّفُ ..
ففيه غنى الدارين إن كنت تعرفُ
فلازمه واستمسك به إن تكن فتى ..
لديك إلى حُبِّ الرسول تَشَوُّفُ
حوى صلوات طيبات كثيرة ..
على المصطفى أزهارها منه تقطف
فمنها الذي قد انشأته أئمة ..
وأخرى أتت فيما روَوْه وصنفوا
(دلائل خيرات) فوائد نعمة ..
شوارق أنوار بها تتشرف
ينابيع رحمات موارد حكمة ..
حدائق جناتٍ من الله تُزلِفُ
وجامعها فرد الزمان وغوثه ..
أقر له بالفضل مَن هو منصف
له في مقامات اليقين تمكن ..
وسر خفي في المعارف يلطف
جزاه إله العرش عن جمعه الذي ..
به يترقى السالك المتصوف
فلا تعدون عيناك عنه فإنه ..
كتاب بأنوار الفضائل يعرف
لقارئه الحسنى غدا وزيادة ..
وقرب مكين بالمواهب ينطف

وقال فيه العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد الفاسي المالكي [ت١١٠٩هـ] في كتابه «ممتع الأسماع بمناقب الشيخ الجزولي والتباع، ومن لهما من الأتباع» (ص: ٩، طبعة حجرية): [قد نفع الله به العباد، وأخذ بالأسانيد المحررة وأقبل الناس عليه، وسار فيهم مسير الشمس والقمر، واشتهر في البدو والحضر، وانكبوا عليه في مشارق الأرض ومغاربها دون غيره من كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على كثرتها وأسبقيتها، ويجدون له بركة ونورًا] اهـ.

وقال العلامة الفقيه حمدون بن محمد الطاهري الجوطي الفاسي [ت١١٩١هـ] في «تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان»: [وكفاه هذا التأليف العظيم شهادة على سمو قدره، ونمو فخره، وأثر كسوة قلب مؤلفه عليه ظاهر، ومنه

لائح، وشدة شغفه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتهالكه في حبه منه واضح، وريح الجنان والعطر منه ساطع وفائح، يستنشقه كل عارف وولي صالح] اهـ.

وقال الإمام العارف شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن أحمد السجاعي الشافعي الأزهري [ت١١٩٧هـ] في شرحه الذي سمّاه «بدء الوسائل، في حل ألفاظ الدلائل» (ق: ١أ، مخطوط): [هذا تعليق لطيف، ومنهج منيف، على دلائل الخيرات، للولي الكامل، والعارف الواصل، أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي، ذي الكرامات الباهرة، والأحوال الناضرة، والتلامذة الناصرة] اهـ، وقد انتهى من تأليفه هذا عام ١١٧٩ هجرية.

وعده شيخ الشافعية في عصره العلامة سليمان الجمل [ت١٢٠٤هـ] في شرحه «المنح الإلهيات» (ق: ٤، مخ) «أجلَّ كتاب أُلف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم»، وقد انتهى من تأليفه عام ١١٩١ هجرية.

وذكر حافظ عصره العلامة محمد مرتضى الزبيدي [ت١٢٠٥هـ] في كتابه «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين» (٢٨٩/٣، ط. المطبعة الميمنية ١٣١١هـ) «أن الله رزقه من القبول والاشتهار ما لم يُعْط لغيره؛ فولعت به الخاصة والعامة، وخدموه بشروح وحواشٍ، وما ذلك إلا لحسن نية صاحبه وخلوص باطنه في حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم».

وقال فيه العلامة الشيخ حسن العدوي الحمزاوي [ت١٣٠٣هـ] في كتابه «بلوغ المسرات على دلائل الخيرات» (ص: ١، طبع حجر): [وكفى بهذا الكتاب شرفًا؛ حيث بلغ في الانتفاع والقبول، ما تحتار فيه العقول ولا يحصى] اهـ.

وقال العلامة الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد السلام بن بوستة البناني المالكي [ت١٣٤٦هـ] في كتابه «النعم الجلائل في التعريف بالشيخ مولانا محمد بن سليمان صاحب الدلائل» (ق: ٢٠أ، مخطوط): [وبالجملة: فهذا الكتاب المبارك من أحسن الذخائر وأعظم البشائر، تلوح على قلوب العارفين له الأسرار، وتشرق فيها الأنوار، وتنجلي ببركته الهموم والأكدار، فله الفضائل التي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى، والبركات التي لا تُحَدُّ ولا تُستَقْصَى] اهـ.

وقال العلامة عبد المجيد الشرنوبي الأزهري المالكي [ت١٣٤٨هـ] في «شرح دلائل الخيرات» (ص: ١، ط. مكتبة الآداب): [كتاب «دلائل الخيرات» من أنفس ما يُتَقَرَّب به إلى سيد السادات] اهـ.

إلى غير ذلك من عبارات الثناء العاطر والمدح السائر، التي تبين أن هذا الكتاب قد رزق من القبول في المسلمين عامتهم وخاصتهم ما لم يرزقه غيره، وحاز من الحظوة والانتشار ما لم يَحُزْهُ أي كتاب، وعم دخوله كل البيوت وجميع الطبقات، وقرأه حتى ربات الخدور، ورأى المسلمون من خيره وبركته ما لا يحصى من بلوغ الآمال، وعم الانتفاع به في المشارق والمغارب عبر العصور والأجيال،

له من البركات والأنوار ما لا يخطر على بال، وتنافس الناس في كتابته ونسخه؛ حتى إن المتتبع لنُسَخِه المخطوطة المبثوثة في مكتبات العالم يجده في المرتبة الأولى في عدد المخطوطات الإسلامية.

كثرة شروحه وحواشيه

وشرحه من العلماء جمعٌ لا يحصَون كثرةً:

فمنهم: تلميذه العلامة العارف سيدي أحمد زروق البرنسي [ت٨٩٩هـ]؛ كما في «طبقات الشاذلية الكبرى» للشيخ الكوهن [ت١٣٤٧هـ] (ص: ١٢٣، ط. المطبعة العلامية).

ومنهم: العلامة الملا علي القاري الحنفي [ت ١٠١٤هـ].

ومنهم: العلامة عبد الرحمن بن محمد الفاسي القصري [ت١٠٣٦هـ].

ومنهم: العلامة عمر بن خطاب الشنواني [ت١١٦٧هـ].

ومنهم: العلامة أبو بكر بن اسماعيل المزجاجي [ت١١٦٧هـ].

ومنهم: العلامة الفقيه المحدث حسن بن علي الأزهري الشهير بالمدابغي [ت١١٧٠هـ].

ومنهم: العلامة أبو الفتوح الدباغ الحلبي الشافعي المعروف بالميقاتي [ت١١٧٤هـ].

ومنهم: العلامة أبو البركات عبد الله بن حسين السويدي البغدادي [ت١١٧٤هـ].

ومنهم: شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد السجاعي المصري الأزهري [ت١١٩٧هـ].

ومنهم: شيخ الشافعية في زمنه العلامة سليمان العجيلي المعروف بالجمل [ت١٢٠٤هـ].

ومنهم: العلامة الولي العارف والفقيه المحقق حسن العدوي الحمزاوي [ت١٣٠٣هـ].

ومنهم: مفتي حلب العلامة أحمد بن عقيل العمري الشهير بالزويتيني [ت١٣١٦هـ].

ومنهم: العلامة عبد المجيد الشرنوبي الأزهري [ت١٣٢٢هـ].

ومنهم: العلامة يوسف بن إسماعيل النبهاني [ت١٣٥٠هـ].

ومنهم: العلامة الحافظ محمد عبد الحي الكتاني [ت١٣٨٢هـ].

وانظر لمزيد الاستزادة من شروح الدلائل: «جامع الشروح والحواشي» لعبد الله الحبشي؛ حيث عدَّ له أكثر من أربعين شرحًا (٢/٩٠١-٩٠٦، ط. المجمع الثقافي أبو ظبي).

ظهور نابتة الخوارج

ومنذ أن منّ الله تعالى على الإمام الجزولي صاحب «الدلائل» ببركة تصنيفه ووضعه، وحسن تأليفه وجمعه، والأمة الإسلامية -بمحدثيها وفقهائها، وعارفيها وأوليائها، وعلمائها وعوامها، ورجالها ونسائها، وكبارها وصغارها، جيلا وراء جيل، وقرنًا بعد قرن- مقبلةٌ على هذا الكتاب المبارك، تَرِدُ مواردَه الشريفة، وتنهل من مناهله العطرة، حتى ظهرت النابتة المتشددون في أواخر القرن الثاني عشر الهجري فنشروا مناهج الخوارج

بتكفير الأمة وتبديعها، فكفَّروا المسلمين ظلمًا وبغيًا وعدوانًا، وحاربوا هذا الكتاب المبارك، حتى بلغ بهم الحال أن سعوا في إحراقه وإحراق غيره من كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ كما يذكر الإمام العارف قطب الإرشاد الحبيب علوي بن أحمد الحداد [ت١٢٣٢هـ] في كتابه «مصباح الأنام وجلاء الظلام في رد شبه البدعي النجدي التي أضل بها العوام» (ص: ٤، ط. المطبعة الشرفية ١٣٢٥هـ)، ولكن الله قيض من ردوا إفكهم وأظهروا باطلهم.

وما يزعمه بعض جهلة العصر حول هذا الكتاب المبارك من أنه ممتلئ بالشرك والبدعة: هو من التطاول بالباطل والجراءة في الإفك؛ فإن دعوى احتواء كتابٍ -هذا شأنُه عبر الأمصار والأعصار، وهذه منزلته في الأمة الإسلامية- على الشرك والبدعة، يستلزم تكفير علماء المسلمين وأئمتهم، واتهامهم بنشر الشرك والسعي في البدعة، وهذه دعاوى الخوارج، ومناهج أهل الضلالة، الذين يأبون إلا أفهامهم السقيمة، ذات العواقب الوخيمة والبلايا العظيمة، التي تسفك بسببها الدماء، وتستحل لأجلها الحرمات، وما أسهل التكفير على محرومي التفكير، وما أيسر التضليل على من ضل السبيل!

شبهات وترهات

والشبهات التي يسوقونها في العادة شبهات واهيات ومغالطات وترهات؛ تفتقر إلى أصول الفهم وقواعد العلم، وتجمع إلى سوء الظن بالعلماء، استباحةَ الطعن في الأولياء، مع أفهام لا تحتملها عبارات الكتاب، ولم يفهمها بهذا الفهم عالم أو فقيه على مر العصور، على كثرة من شرح الكتاب وفسر عباراته!

فتارة يدَّعون أن من الشرك: عبارات الاستمداد من حضرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.. وهي دعوى فاسدة؛ فإن طلب المدد قد يكون على جهة السببية؛ فيُطلَب من المخلوق، وقد يكون على جهة الخلق والتأثير؛ فلا يجوز حينئذ طلبه إلا من الخالق.

الأسماء النبوية في الدلائل

وتارة ينكرون أسماء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وألقابه وأوصافه التي ساقها صاحب «الدلائل»، ويدَّعون أنها لا تليق به صلى الله عليه وآله وسلم.. وهذا جهل واضح؛ فإن هذه الأسماء الشريفة مأخوذة من الكتاب والسنة والآثار الواردة عن السلف، وللعلماء فيها تآليف وتصانيف مفردة، وهذه الدعوى تستلزم أن الأمة كلها نسبت للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما لا يليق به؛ فإن الأئمة تواردوا على شرح هذه الأسماء في كتاب «الدلائل» عبر القرون وبينوا مآخذها من الكتاب والسنة من غير نكير، وكتب الله تعالى لهذه الأسماء القبول؛ حتى اعتمدها علماء الأمة، ومنهم من نظمها؛ وكتبها المسلمون على جدار قبلة المسجد النبوي الشريف، بنصها وعددها،

بأجمل الخطوط وأحلاها وأبدعها؛ يقرأها كل زائر، ويلهج بها كل محب.

وتارة يدَّعون أن في هذه الأسماء الشريفة غلوًّا ومبالغة.. وهذا تجاهل وتغافل عن أن كمالاته صلى الله عليه وآله وسلم لا تتناهى، وأن الخلق كلهم عن بكرتهم مهما وصفوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلن يصلوا إلى عشر معشار قدره ومقامه عند مولاه، لأن الله صلى عليه أزلا وأبدًا، وسخر الكون للصلاة عليه، وأعطاه ثواب كل خير يفعله مخلوق؛ فهو الذي دل الخلق على الخير.

وتارة يزعمون أنه لا تجوز الزيادة على أسماء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي وردت في الأحاديث الصحيحة.. وهذا خلط بين باب الاسمية والوصفية؛ فإن الاسم قد يطلق تارةً على العَلَم، وقد يطلق مجازًا على الوصف، وفي هذا الزعم تحريم لأمر فعله علماء المسلمين سلفًا وخلفًا؛ فإن أسماء النبي صلى الله عليه وآله وسلم تطلق على أوصافه وشمائله، وهي كما تؤخذ من السنة الصحيحة تستفاد كذلك من القرآن والسيرة وآثار السلف الصالح، وتشتق من أفعاله وكراماته وخصائصه وأخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم.

وتارةً ينكرون بعض هذه الأسماء الشريفة المذكورة في «الدلائل»؛ ومنها: محي، ومنج، وناصر، وغوث، وصاحب الفرج.. وإنكارهم غير صحيح؛ إذ كلها أسماء صحيحة متفق عليها بين المسلمين ولا معنى لإنكارها؛ فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم سبب لإحياءِ القلوب، والنجاةِ من العقاب، والحمايةِ من العذاب، وإغاثةِ الخلق، وتفريجِ كروبهم، كل ذلك بإذن الله تعالى، فهو من إضافة الفعل إلى متسببه مجازًا مع اعتقاد أن الله هو الفاعل الحقيقي، كما قال تعالى على لسان السيد المسيح عيسى عليه السلام: ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، وهذا كثير في كلام العرب؛ كقولهم: أنبت الربيع البقل.

المصطفى سبب الخير لكل الخلق

صلى الله عليه وآله وسلم

ومن الجهل زعمهم أن عبارة (اللهم صل على من تفتقت من نوره الأزهار) لا تجوز، بدعوى أن الأزهار فتقها الله وحده.. وهذا مغالطة وشغب؛ فإن إنكار الأسباب مكابرة وجهل، ولا يخفى على أي مسلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبب لكل خير في الدنيا والآخرة.

اللهم صل على سيدنا محمد

حتى لا تبقى صلاة

وأنكر بعضهم صيغة (اللهم صل على محمد حتى لا يبقى من الصلاة شيء).. وهذا جهل بالسنة، ومحاكمة للحب؛ لأن ذلك وارد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا عند الطبراني في «الدعاء» والديلمي في «الفردوس»، ومن حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعًا أيضًا عند

الطبراني في «الدعاء»، ولفظه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: غدَوْنا يومًا غداةً من الغدوات مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى كنا في مجمع طرق المدينة، فبَصُرْنا بأعرابي آخذٍ بخِطام بعيره، حتى وقف على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونحن حوله، فقال: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فرد عليه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم السلام، فقال: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟» قال: ورغا البعير، وجاء رجل كأنه حَرَسِيٌّ، فقال الحرسي: يا رسول الله، هذا الأعرابي سرق البعير! فرغا البعير ساعة وحن، فأنصت له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمع رُغَاه وحنينه، فلما هدأ البعير أقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الحَرَسي، فقال: «انْصَرِفْ عَنْهُ؛ فَإِنَّ الْبَعِيرَ يَشْهَدُ عَلَيْكَ أَنَّكَ كَاذِبٌ»، فانصرف الحرسي، فأقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الأعرابي فقال: «أَيَّ شَيْءٍ قُلْتَ حِينَ جِئْتَنِي؟» قال: قلتُ بأبي وأمي: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى لاَ تَبْقَى صَلاَةٌ، اللَّهُمَّ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى لاَ تَبْقَى بَرَكَةٌ، اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى لاَ يَبْقَى سَلاَمٌ، اللَّهُمَّ وَارْحَمْ مُحَمَّدًا حَتَّى لاَ تَبْقَى رَحْمَةٌ»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَبْدَاهَا لِي وَالْبَعِيرُ يَنْطِقُ بِعُذْرِهِ، وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ قَدْ سَدُّوا الأُفُقَ».

ولفظه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «اللَّهُمَّ صَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنْ صَلاَتِكَ شَيْءٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنْ بَرَكَاتِكَ شَيْءٌ، وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى لاَ يَبْقَى مِنَ السَّلاَمِ شَيْءٌ».

وقد ذكرهما الحافظ أبو سعد الخركوشي في «شرف المصطفى» (٥/٨١، ط. دار البشائر)، وساقهما الحافظ السيوطي في رسالته «الباهر في حكم النبي بالباطن والظاهر» مستدلًّا بهما على حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالباطن.

معنى هذه الصيغة المباركة

وقد بين معنى هذه الصيغة العظيمة الإمامُ القاضي أبو عبد الله الرصّاع فقال -كما في «المعيار المعرب» (١/٣٥٠، ط. دار الغرب الإسلامي)-:

[معنى قوله «حتى لا يبقى من صلاتك شيء» صل على محمد جميعَ ما صليتَ وأبرزتَه لأهل عنايتِك وأنبيائِك ورسلك وملائكتك، وجميعَ ما أبرزه سبحانه مِن الرحمة لمن رحِمَه؛ مِن نبي مرسل أو ملك مقرب، هو قد انتهى وانحصر ودخل في الوجود؛ فكأن المصلي طلب من ربنا سبحانه أن جميع ما رحم الله به عباده وأولياءه وأصفياءه وخاصته، وأحسن به إلى جميع أهل مودته من أهل سمائه وأرضه، لمثله أعط لنبيك وحبيبك ومعدن سرك، فقد كان كذلك، فإن الله سبحانه أنعم عليه صلى الله عليه وآله وسلم بما لم يعطه لمجموع أحبته وأهل وده وخاصته، بل أعطاه أكثر وأجمل، وسيعطيه بعدُ ما لا يحيط به عقل، ولا يحويه نقل، فغاية ما في هذا الحديث تخصيص لفظ العموم فيه في الصلاة عليه والبركات، وهذا ليس فيه شيء،

والتخصيص إما بالعقل وإما بالنقل والعادة.. وإنما احتجنا إلى هذا التأويل لأن تحسين الظن بالأخيار وأهل المحبة من النقلة واجب، لا سيما والتأويل بابه مفتوح، مع قرب التأويل في ذلك] اهـ.

وهذا هو الفرق بين العالم الذي يحمل الكلام على أحسن محامله، وبين المتحامل الذي يترصد للمز الأولياء، والمتعالم الذي يهوى عيب العلماء.. وهما نتيجتان طبيعيتان لمنهجين متضادين؛ أحدهما: يأمر المتعلم باتهام نفسه حتى يُفتَح عليه من بركات العلم وفيوضات الفهم، والآخر: يسوقه بفهمه السطحي إلى الإنكار على الكبار، من غير احترام ولا إكبار؛ فلا يعود يسلم من سوء ألسنتهم أديم لعالم ولا عرض لولي! ويصير الجهل عندهم حَكَمًا على علم العلماء وفهم الفقهاء!

نزهة دلائل الخيرات

ومن المواسم المباركة في بلاد المغرب العربي: موسمُ «نزهة دلائل الخيرات» في مدينة فاس المغربية وضواحيها، وهي مناسبة ينظمها الفلاحون قبل بداية الحصاد، في تقليد مستمر منذ قرون، يدْعون فيه حُفّاظ الدلائل ويعدون لهم إقامة وطعامًا، ويرتبون لهم قراءة الدلائل وسط الحقول لتطييب الثمار، تيمنًا بقول صاحب «الدلائل» (اللهم صل على من طابت ببركته الثمار)، ويرون من بركة ذلك ما تقر به الأعين وتسر به النفوس وتنشرح به الصدور.

الخلاصة

وفي الختام نقول: إن كتاب «دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وآله وسلم» هو من الكتب المباركة التي كتب الله لها القبول في الأمة الإسلامية، وقد شرحه العلماء الكبار على اختلاف الأعصار والأمصار، وقرأه المسلمون عبر القرون، وأجمعت على قبوله الأمة من غير نكير، وهو من أعظم كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بركة وفائدة ونفعًا، وقراءته من أعظم الوسائل الموصلة لصاحب الشمائل، صلى الله عليه وآله وسلم، وإن من مظاهر صلاح حال الأمة وعودة نهضتها: العودة الحميدة لانتشار هذا الكتاب بين شبابها وشيبها ورجالها ونسائها، وشيوع قراءته في المجالس الشريفة، بعد أن حاول المتطرفون إخفاء نوره، وتغطية بدوره، ولكنهم وجدوه شمسًا لا تنطفئ، وسماءً لا تُطاوَل، وقدرًا لا يُحاوَل. ووصفه بالشرك هو منهج الخوارج الذين يكفرون الأمة؛ بفعل ما اتفقت على مشروعيته الأئمة؛ من التوسل بالنبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والاستمداد من جنابه الشريف ونوره المنيف، وما يقال حوله من مزاعم ودعاوى فلا تعدو أن يكون شبهات وترهات تشكك الأمة في سلفها، وتنشر فيها مناهج التكفير والتبديع والتفسيق؛ فلا يجوز الالتفات إليها ولا التعويل عليها.

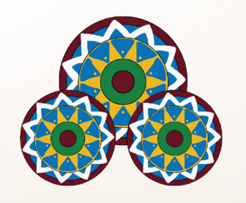
صورتان متضادتان

وليتأمل كل عاقل ذلك الفرق الكبير بين هذا الكتاب المنير؛ الذي صُوِّرَتْ في أوله الروضة الغرّاء الشريفة، والقبة الخضراء المنيفة، والذي اعتمده من ربَّوْا النشء الصالح على أن يقولوا شوقًا، عند زيارة خير الخلق خُلُقًا وخَلْقًا:

هذه الخضراءُ تظهر .. نورُها للعقل يَبهر
عند رؤياها تحدَّرْ .. دمعُ من يعشق محمد

وبين منهج أهوج، ملأ أذهان أتباعه بأن القبة الخضراء غُصّةٌ في قلب كل مسلم! وبدعة يجب محوها!! والله إن البون لشاسع وإن الفرق لواسع.

إنهما لصورتان متضادتان، وشُقّتان بعيدتان: بين من أراد أن يودع عند الرحيل، فلم يملك إلا أن يقف خارج المسجد تجاه المواجهة النبوية الشريفة وهو ينظر إلى القبة الخضراء باكيَ العينين ذارفَ المدامع وقد مادت به الأرض من مشاعر الشوق، وبين ذلك المجرم الذي فجر نفسه في ذات المكان؛ لأنه يرى أنها بدعة وكفران.. والله لا يستويان.



٦

محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأدلة الاحتفال بمولده الشريف

الشيخ / أشرف سعد الأزهري

من علماء الأزهر الشريف

الحب لجنابه الأعظم الشريف صلى الله عليه وسلم هو المعنى الأسمى والمظهر الأسنى والغاية العظمى من الاحتفاء والاحتفال بذكْرَى مَولدِه صلى الله عليه وآله وسلم وهو مظهرٌ مِنْ مظاهرِ تَحقيقِ قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».[1]

ومحبَّةُ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مظهرٌ من مظاهر محبَّةِ الله سبحانه وتعالى، فمَنْ أحبَّ الله أحَبَّ رَسُولَه صلى الله عليه وآله وسلم، فهو الذي جاء لنا بالخيرِ وتحمَّلَ في سبيل ذلك ما تحمَّل من عناءٍ ومشقَّةٍ كما هو معلومٌ من سِيرَتِه الشَّريفة صلى الله عليه وآله وسلم، وقد جاءتِ الأحاديثُ الشَّريفةُ بإخبارنا بالمكانةِ التي يجبُ أن تكونَ لرسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم في قلوبنا حتى نُحقِّقَ أصلَ الإيمانِ وكمالَه، يقولُ الحافظ ابنُ رجبٍ الحنبليُّ رحمه الله: «محبَّةُ النَّبي صلى الله عليه وآله وسلم مِن أصولِ الإيمان، وهي مقارِنةٌ لمحبَّةِ الله عزَّ وجلَّ، وقد قرنَها الله بها، وتوعَّدَ مَنْ قدَّم عليهما محبَّةَ شيءٍ من الأمور المحبوبة طبعًا مِنَ الأقاربِ والأموالِ والأوطانِ وغير ذلك قال تعالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤].

ولما قالَ عمرُ للنَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: أنْتَ أحبُّ إليَّ من كلِّ شيءٍ إلَّا من نفسي فقالَ:

(١) متفق عليه؛ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه

«لا يا عمرُ؛ حتَّى أكونَ أحبَّ إليك مِن نفسكَ» فقال عمرُ: والله أنت الآن أحبُّ إليَّ من نفْسِي، قالَ: «الآنَ يا عمرُ».[٢]

وتعالوا لنَنظُرْ إلى حبِّ الصَّحابةِ لرسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلوكِهم معه صلى الله عليه وآله وسلم، وعند ذلك سوف نعرفُ ما مقدار المودَّةِ التي يجب أن تكونَ لرسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم في قلوبنا، فمِنْ أمثلةِ ذلك:

ما أخرجَه الطَّبرانيُّ عن عائِشةَ رضي الله عنها قالتْ: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسولَ الله إنَّك لأحبُّ إليَّ مِنْ نفسي، وإنَّك لأحبُّ إليَّ مِنْ ولَدِي، وإنِّي لأكون في البيت فأذكُركَ فما أصبرُ حتَّى آتيَ فأنظُرَ إليك، وإذا ذكرتُ مَوْتِي وموتَك عرفتُ أنَّك إذا دخلْتَ الجنَّة رُفعتَ مع النَّبيِّين، وإنِّي إذا دخلتُ الجنَّة خشيتُ ألَّا أراكَ. فلم يردَّ عليه النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم شيئًا حتَّى نزَلَ جبريلُ عليه السَّلام بهذه الآيةِ: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّساء: ٦٩].[٣]

وفي الصَّحيحِ من حديثِ أبي جُحيفةَ قال: «أتيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فخرجَ بلالٌ بوضوئِه فرأيتُ النَّاسَ يَبتدرونَ ذلك الوضوءَ فمَنْ أصابَ منه شيئًا تمسَّحَ به، ومَن لم يُصِبْ مِنْه أخذَ من بللِ يَدِ صاحبِه.[٤]

وعنه أيضًا أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قام النَّاسُ فجَعَلُوا يأخذونَ يدَهُ ويمسحونَ بها وجُوهَهُم، فأخذتُ يدَه فوضعتُها على وجهِي فإذا هيَ أبردُ منَ الثَّلجِ وأطيبُ مِنْ ريحِ المسكِ».[٥]

وهذا أنسُ بن مالِك رضي الله عنه خادمُ رسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم يصفُ لنا مشهدًا آخرَ من مَشاهدِ المحبَّةِ والإجلالِ من الصَّحَابةِ لرسولِهم الكريم صلى الله عليه وآله وسلم؛ ففي صحيحِ مُسلمٍ عن أنسٍ قال: «لقَدْ رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم والحلَّاقُ يَحلِقُه، وأطافَ به أصحابُه، فما يُريدونَ أن تقعَ شَعرةٌ إلَّا في يدِ رَجُلٍ».[٦]

وهذا عمرو بن العاص رضي الله عنه يقولُ: «وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رَسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا أجلَّ في عَيْنِي مِنهُ، وما كنتُ أُطيقُ أَنْ أملأَ عيني منه إجْلالًا لَهُ، ولو سُئلتُ أَنْ أصفَه ما أطَقْتُ؛ لأنِّي لم أكن أملأُ عَيْني مِنْه»[٧]

في غزوَةِ بدرٍ كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقومُ بتَعْديلِ صفوفِ المسلِمينَ ويُسوِّي بينها، وكان في يدَيه قدحٌ، وهو شيءٌ يُشبِهُ العَصا القَصيرةَ يُعدِّل بِها، وكان سَوَادُ

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٨/١).

(٣) أخرجه الطبراني في الصَّغير (٥٢)، والأوسط (٤٧٧) عن عائشة رضي الله عنها به. وقال الطَّبرانيُّ: «تفرَّدَ به عبد الله بن عمران»..

(٤) متفق عليه.

(٥) جزء من حديث أخرجه البخاريُّ في كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٣٥٥٣).

(٦) أخرجه مسلم (٢٣٢٥).

(٧) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٢١).

بن غَزِيَّة مُستَنصِلًا من الصَّفِّ فطَعَنه صلى الله عليه وآله وسلم في بطنِه بالقَدَحِ وقال: «استَوِ يا سَوَاد» فقال سَواد: يا رسولَ الله أوجعتَني فَأَقِدْنِي. فكشف صلى الله عليه وآله وسلم عن بطنِه وقال: «استَقِد» فاعتَنقَه سوادُ وقبَّل بطنَه فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما حَمَلَكَ على هذا يا سَوادُ؟» قال: يا رسولَ الله قد حضرَ ما ترى فأردتُ أن يكون آخِرَ العهد بكَ أنْ يمسَّ جلدِي جلدَك، فدَعَا له رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بخَيرٍ.[(٨)]

وكان المسلمونَ يطلبونَ بَركةَ رسُولِ الله ويتتبَّعونَ ذلك؛ فقد روَى مسلمٌ عن أنسٍ بن مالك رضِي الله عَنْه قال: «كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلَّى الغداةَ جاءَ خدمُ المدينةِ بآنيتِهم فيها الماءُ فما يؤتَى بإناءٍ إلَّا غمسَ يدَه فيها، فربَّما جاؤوه في الغَداةِ البارِدَةِ فيَغمسُ يدَه فيها».[(٩)]

وهذا عبدُ الله بنُ عمرَ يتبعُ الأماكنَ الَّتي صلَّى رسولُ الله فيها فيصلِّي فيها،[(١٠)] ويتبعُ أماكنَ مَشْيِه صلى الله عليه وآله وسلم فيمشي عليها، ويضعُ يدَهُ على مقعدِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم من المِنْبر، ثمَّ يمسحُ بها وجهَه رجاءَ البَرَكةِ.[(١١)]

(٨) أخرج ابنُ هشامٍ في سيرته (٦٢٦/١)، والطَّبريُّ في تاريخِه (٤٤٦/٢).

(٩) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب قرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من النَّاس وتبرُّكهم به (٢٣٢٤).

(١٠) ورد ذلك في حديثٍ أخرجه البخاريُّ (٤٨٣) عن موسى بن عقبة قال: «رأيتُ سالم بن عبد الله يتحرَّى أماكنَ من الطَّريق فيصلِّي فيها، ويحدِّث أنَّ أباه كان يصلي فيها، وأنَّه رأى النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يصلِّي في تلك الأمكنة» وحدَّثني نافع عن ابن عمر: «أنَّه كان يصلِّي في تلك الأمكنة».

(١١) أخرج ابن سعدٍ في الطَّبقاتِ الكبرى (٢١٨/١).

إيراد أقوال أهل العلم والأدلة الشرعية الدالة على استحباب الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

إنَّ الاحتفالَ بمولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن بِدعًا من القول أو الفعل، فقد ورد في السنة المطهرة ما يؤصل للاحتفال بمولدِه صلى الله عليه وآله وسلم ؛ ففي صحيح مسلم عن أبي قتادةَ رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الإِثْنَيْنِ؟ قالَ: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ- أَوْ- أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ».[(١٢)]

فنحن إذا تأمَّلنا هذا الحديث وجدناه نصًّا واضحًا في هذه المسألة؛ فقد صام النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الإثنين لأنه ذكرى مولده، وذلك إظهارًا لشكر الله سبحانه وتعالى، والصِّيامُ من أفضلِ القربات التي يتقرَّب بها العبد إلى ربِّه، وهذا الصيام منه صلى الله عليه وآله وسلم هو في حقيقة الأمر احتفالٌ منه بهذا اليوم الَّذي عبَّر فيه بقوله: «وُلدتُ فِيه».

وقد تكلَّم الجلالُ السيوطيُّ عن شهر ربيع الذي وُلِدَ فيه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وساق كلامًا عن الحديث السَّابق فقال: «أشارَ عليه السَّلام إلى فضيلةِ هذا الشَّهرِ العظيمِ بقوله للسَّائل الذي سألَه عن صومِ يوم الإثنين: «ذاكَ يومٌ وُلِدْتُ فيه» فتشريفُ هذا اليوم مُتضمِّنٌ

(١٢) جزء من حديث أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه.

لتشريفِ هذا الشَّهر الذي وُلِدَ فيه، فينبغي أن نحترمَه حقَّ الاحترام ونفضِّله بما فضل اللهُ به الأشهر الفاضلة وهذا منها؛ لقوله عليه السَّلام: «أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخرَ»[١٣]. «آدمُ فمَنْ دونَه تحتَ لوائِي»[١٤]. وفضيلةُ الأزمنةِ والأمكنةِ بما خصَّها الله به من العباداتِ الَّتي تُفعلُ فيها لما قد علم أنَّ الأمكنةَ والأزمنةَ لا تشرف لذاتِها، وإنما يحصُلُ لها التَّشريفُ بما خُصَّتْ به من المعاني، فانظرْ إلى ما خَصَّ اللهُ به هذا الشهرَ الشَّريف ويوم الإثنين، ألا تَرَى أنَّ صومَ هذا اليوم فيه فضلٌ عظيمٌ؛ لأنَّه صلى الله عليه وآله وسلم وُلِدَ فيه، فعلى هذا ينبغِي إذا دخل هذا الشَّهرُ الكريمِ أن يكرم ويعظَّم ويُحترم الاحترام اللَّائق به اتِّباعًا له صلى الله عليه وآله وسلم في كونه كان يخصُّ الأوقاتَ الفاضلة بزيادةِ فِعل البرِّ فيها وكثرةِ الخيراتِ، ألا تَرى إلى قول ابن عبَّاسٍ: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجودَ الناس بالخيرِ وكان أجودَ ما يكونُ في رمضانَ»[١٥]. فنمتثلُ تعظيمَ الأوقاتِ الفاضلة بما امتثله على قدر استطاعتِنا».[١٦]

أقوالُ أهل العلم في الاحتفالِ بمولده صلى الله عليه وآله وسلم

- يقول الحافظُ السُّيوطيُّ رحمه الله نقلًا عن الحافظِ ابن حجرٍ العسقلانيّ: «وقدْ سُئِلَ شيخُ الإسلام حافظُ العصر أبو الفضل بن حجر عن عمل المولدِ فأجابَ بما نصُّه: أصلُ عمل المولد بِدعةٌ لم تُنقلْ عن أحدٍ من السَّلف الصَّالح من القرونِ الثَّلاثة، ولكنَّها مع ذلك قدِ اشتملتْ على محاسنَ وضدِّها، فمَنْ تحرَّى في عملِها المحاسنَ وتجنَّبَ ضدَّها كان بدعةً حسنةً وإلَّا فلا، قال: وقد ظهرَ لي تخريجُها على أصلٍ ثابتٍ وهو ما ثبتَ في الصَّحيحيْنِ من أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قَدِمَ المدينة فوجدَ اليهودَ يصومونَ يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هو يومٌ أغرقَ اللهُ فيه فرعونَ ونجَّى موسى فنحن نصومُه شكرًا لله تعالى.[١٧]

ثم يقول السيوطيُّ: «قلتُ: وقد ظهرَ لي تخريجُه على أصلٍ آخرَ، وهو ما أخرجَه البَيهقيُّ عن أنسٍ: أن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم عقَّ عن نفسِه بعد النبوَّة[١٨]. مع أنَّه قد وردَ أنَّ جدَّه عبد المطَّلبِ عقَّ عنه في سابع ولادتِه، والعقيقةُ لا تُعادُ مرةً ثانيةً، فيُحملُ ذلك على أنَّ الذي فعلَه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم إظهارٌ للشُّكرِ على إيجاد الله إيَّاه رحمةً للعالمين وتشريعٌ لأُمته كما كان يُصلِّي على نفسه لذلك، فيُستحبُّ لنا أيضًا إظهارُ الشُّكرِ بمولدِه بالاجتماعِ وإطعامِ الطَّعام ونحو ذلك من وُجُوهِ القُرباتِ وإظهارِ المسرَّات، ثم رأيتُ إمامَ القرَّاء الحافظَ شمسَ الدِّين ابنَ الجزريّ

(١٣) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الخلائق (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٤) جزء من حديث أخرجه الترمذي (٣١٤٨)، وابن ماجه (٤٣٠٨)،. وقال الترمذي: «حسن صحيح».

(١٥) متفق عليه.

(١٦) الحاوي للفتاوى (١٩٤/١) تأليف: جلال الدين السيوطي- دار الكتب العلمية- بيروت-١٩٨٣م.

(١٧) متفق عليه من حديث ابن عباس .

(١٨) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٧٩٦٠)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٣٠٠).

قال في كتابه المسمَّى: «عُرف التَّعريفِ بالمولدِ الشَّريف» ما نصُّه: قد رُئيَ أبو لهب بعد موتِه في النوم، فقِيلَ له: ما حالُك، فقال: في النَّارِ، إلَّا أنه يُخفَّفُ عني كلَّ ليلةِ إثنينِ وأمصُّ من بين إصبعيْ ماءً بقدرِ هذا- وأشار لرأس إصبعه- وأنَّ ذلك بإعتاقي لثويبةَ عندما بشَّرتْني بوِلادةِ النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبإرضاعِها له.

فإذا كان أبُو لهبٍ الكافرُ الذي نزل القرآنُ بذمِّه جُوزيَ في النار بفرحِه ليلةَ مولدِ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم به، فما حالُ المسلم الموحِّد من أُمَّةِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُسَرُّ بمولدِه ويَبذلُ ما تَصِلُ إليه قدرتُه في محبَّتِه صلى الله عليه وآله وسلم؛ لعمري إنَّما يكون جزاؤُه من الله الكريمِ أنْ يُدخلَه بفضلِه جناتِ النَّعيمِ.

وقال الحافظُ شمس الدين ابن ناصر الدِّين الدمشقي في كتابِه المسمى: مَورد الصَّادي في مولد الهادي: قد صَحَّ أنَّ أبا لهبٍ يخفَّفُ عنه عذاب النارِ في مثل يوم الإثنين لإعتاقه ثويبةَ سرورًا بميلادِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أنشد:

إذَا كانَ هذَا كافرًا جاء ذمُّه
وتبَّتْ يداه في الجحيمِ مُخلَّدَا
أتى أنَّه في يوم الاثنينِ دائمًا
يُخفَّفُ عنه للسُّرورِ بأحمدَا
فما الظَّنُّ بالعبدِ الذي طولَ عُمرِه
بأحمدَ مسرورًا ومات موحِّدَا[١٩]

(١٩) الحاوي للفتاوى (١/١٩٦-١٩٧).

وقال الكمال الأُدفُويُّ في «الطَّالع السَّعيد»: حكى لنا صاحبُنا العدل ناصر الدِّين محمود ابن العماد أنَّ أبا الطيب محمد بن إبراهيم السَّبتيَّ المالكيَّ نزيل قوص، أحد العلماءِ العاملينَ، كان يجوزُ بالمكتب في اليوم الذي فيه وُلد النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فيقول: يا فقيه، هذا يوم سرورٍ اصرف الصبيانَ، فيصرفنا، وهذا منه دليلٌ على تقريرِه وعدم إنكارِه، وهذا الرجلُ كان فَقيهًا مالكيًّا متفننًا في علومٍ، متورعًا، أخذ عنه أبو حيان وغيرُه، ومات سنة خمس وتسعين وستمائة».[٢٠]

- ويقولُ الإمامُ السيوطيُّ أيضًا: «عندِي أنَّ أصلَ عمل المولدِ الذي هو اجتماعُ الناسِ وقراءة ما تيسَّرَ من القرآنِ ورِوايةُ الأخبار الوارِدةِ في مبدأ أمر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وما يمدُّ لهم سماطٍ يأكلونه وينصرفونَ من غير زيادةٍ على ذلك- هُو من البدع الحسنةِ التي يثابُ عليها صاحبُها؛ لما فيه من تعظيمِ قدرِ النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وإظهارِ الفرحِ والاستبشارِ بمولدِه الشريفِ، وأوَّلُ مَن أحدثَ فِعلَ ذلك صاحبُ إرْبِل الملك المظفَّر أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي بن بكتكين، أحد الملوكِ الأمجاد والكُبراء الأجواد، وكان له آثارٌ حسنة... قال ابنُ كثيرٍ في تاريخِه: كان يعملُ المولد الشريف في ربيع الأول ويَحتفِلُ به احتفالًا هائلًا، وكان شَهمًا شجاعًا بطلًا عاقلًا عالِما عادلًا، رحمَه الله وأكرمَ مَثواه، قال: وقد صنَّفَ له الشيخُ أبو الخطاب بن دحية

(٢٠) الحاوي للفتاوى (١/١٩٦-١٩٧).

مجلدًا في المولدِ النَّبويِّ سماه: التَّنوير في مولدِ البشير النذير. فأجازه على ذلك بألفِ دِينارٍ، وقد طالتْ مدتُه في الملك إلى أن ماتَ وهو محاصِرٌ للفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة، محمود السِّيرة والسَّريرة». [21]

- وينقلُ لنا الشيخُ عليُّ بن برهان الدين الحلبيُّ طَرَفًا من ذلك في سيرته الحلبيَّة فيقولُ: «قالَ ابنُ حجر الهيتميُّ: والحاصِلُ أنَّ البدعةَ الحسنةَ متَّفقٌ على ندبِها، وعملُ المولدِ واجتماع النَّاس له كذلكَ؛ أي بدعةٌ حَسنةٌ، ومِنْ ثَمَّ قال الإمام أبو شامة شيخ الإمام النَّوويِّ: ومن أحسن ما ابتدعَ في زمانِنا ما يُفعلُ كلَّ عامٍ في اليوم الموافِقِ ليومِ مولدِه صلى الله عليه وآله وسلم من الصَّدقاتِ والمعروفِ وإظهارِ الزِّينةِ والسُّرورِ، فإنَّ ذلك مع ما فِيه من الإحسانِ للفقراء مُشعرٌ بمحبَّته صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيمِه في قلبِ فاعل ذلك وشكرِ الله على ما مَنَّ به من إيجاد رسولِه صلى الله عليه وآله وسلم الذي أرسله رحمةً للعالمين... قال السَّخاويُّ لم يفعله أحدٌ من السَّلف في القرونِ الثَّلاثةِ، وإنَّما حدثَ بعدُ، ثمَّ لا زال أهل الإسلام من سائرِ الأقطارِ والمدنِ الكبار يعملونَ المولد ويتصدَّقونَ في لياليه بأنواعِ الصَّدقاتِ ويَعتنونَ بقراءةِ مولدِه الكريمِ ويظهر عليهم من بركاتِه كلَّ فضلٍ عميمٍ، قال ابنُ الجوزيِّ: من خَوَاصِّه أنَّه أمانٌ في ذلك العام وبُشرى عاجلةٌ بنيلِ البُغيةِ والمرامِ... وقدِ استخرجَ له الحافظُ ابن حجر أصلًا من السُّنَّةِ وكذا الحافظُ السيوطيُّ وردًّا على الفاكهانيِّ المالكيِّ في قوله إنَّ عمل المولد بدعة مذمومةٌ». [22]

وقد ذكر ابنُ الحاجِّ جواز واستحباب الاحتفالِ بمولدِه صلى الله عليه وآله وسلم مع تجنُّبِ المحرَّماتِ والبُعد عن البدع فقال: «هذا الشهرُ الكريمُ الَّذي مَنَّ الله تعالَى علينا فيه بسيِّد الأوَّلين والآخرينَ، فكان يجبُ أن يُزادَ فيه من العباداتِ والخير شكرًا للمولى سبحانَه وتعالَى على ما أولانا من هذه النِّعمِ العظيمةِ وإن كان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يَزِدْ فيه على غيره من الشُّهور شيئًا من العباداتِ وما ذاك إلا لرحمتِه صلى الله عليه وآله وسلم بأمَّتِه ورفقِه بهم لأنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام كان يتركُ العَملَ خشيةَ أن يُفرضَ على أمتِه رحمةً منه بهم كما وَصَفَه المولَى سبحانَه وتعالَى في كتابه حيث قال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] لكن أشار عليه الصَّلاة والسَّلام إلى فضيلةِ هذا الشَّهرِ العظيمِ بقوله عليه الصَّلاةُ والسَّلام للسائل الذي سأله عن صوم يوم الإثنين فقال له عليه الصلاة والسلام: «ذلك يومٌ ولدتُ فيه» فَتشريفُ هذا اليوم مُتضمِّنٌ لتشريفِ هذا الشهر الذي وُلدَ فيه، فينبغِي أن نحترمَه حقَّ الاحترامِ ونفضلَه بما فضَّلَ الله به الأشهرَ الفاضلةَ، وهذا منها؛ لقوله عليه الصلاة والسَّلام: «أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ ولا فخرَ». ولقولِه عليه الصلاة والسلام:

(٢١) الحاوي للفتاوى (٢٢٢/١).

(٢٢) السيرة الحلبية= إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (١٣٧/١) تأليف: أبي الفرج علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الثانية- ١٤٢٧هـ.

«آدمُ ومَن دونَه تحت لوائي» انتهى. وفضيلةُ الأزمنةِ والأمكنة بما خصَّها الله تعالى به من العباداتِ التي تُفعلُ فيها؛ لما قد عُلِمَ أنَّ الأمكنةَ والأزمنةَ لا تتشرفُ لذاتِها وإنَّما يحصل لها التشريفُ بما خُصَّت به من المعاني.

فانظر رَحِمَنا الله وإيَّاك إلى ما خَصَّ الله تعالى به هذا الشَّهر الشريف ويوم الإثنين، ألا ترى أن صوم هذا اليوم فيه فضلٌ عظيمٌ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم وُلِدَ فيه، وعلى هذا ينبغي إذا دخلَ هذا الشهرُ الكريم أن يُكرَّمَ ويعظَّمَ ويُحترمَ الاحترام اللَّائقَ به، وذلك بالاتباع له صلى الله عليه وآله وسلم في كونِه عليه الصَّلاة والسَّلام كانَ يخصُّ الأوقاتَ الفاضلةَ بزيادةِ فعل البرِّ فيها وكثرة الخيراتِ، ألا ترى إلى قولِ البخاريِّ رحمَه اللهُ تعالى: كان النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أجودَ الناسِ بالخير وكان أجودَ ما يكونُ في رمضانَ [(٢٣)]. فنمتثل تعظيمَ الأوقات الفاضلة بما امتثلَه عليْه الصَّلاة والسَّلام – على قدر استطاعتِنا» [(٢٤)].

فهذه نبذة من كلام أئمَّةِ الإسلام وحفَّاظِ الحديث وشرَّاحِ السنةِ النبويَّةِ من أهل العلم قديمًا عن الاحتفال بذكرى مَولدِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم نلحظُ فيها أنَّ مفهومَ بدعيةِ الاحتفال بمولد سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يختلفُ عن غيرِهم ممَّن يحاولونَ فرضَ تلك المفاهيم المغلوطةِ على المسلمينَ من الطَّوائف التي تدَّعِي الانتسابَ للسَّلفِ والعِلم والسُّنَّةِ النبويَّة، وأنَّهم كانوا يَرونَ في الأمر سَعة ما دام له أصلٌ في الشريعة يندرجُ تحتَه.

ونسوقُ بعض أقوالِ أهل العلم المعاصرين في قضيَّةِ الاحتفال بمولدِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم:

– يقولُ الشَّيخ الإمام محمد الطَّاهر بن عاشور شيخ جامع الزَّيتونة والذي يُعدُّ من أبرز علماء المالكيَّةِ في العصر الحديث: «جعل اللهُ للمواقيتِ المحدودة اعتبارًا يُشبهُ اعتبارَ الشيءِ الواحد المتجدِّد، وإنَّما هذا اعتبارٌ للتَّذكيرِ بالأيَّامِ العظيمة المقدارِ كما قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥] فخلعَ اللهُ على المواقيتِ التي قارنها شيءٌ عظيمٌ في الفضلِ أن جعلَ لتلك المواقيت فضلًا مُستمرًّا تنويهًا بكونها تذكرةً لأمرٍ عظيمٍ، ولعلَّ هذا هو الذي جعل الله لأجله سُنة الهَدي في الحجِّ؛ لأنَّ في مثل ذلك الوقت ابتلى اللهُ إبراهيمَ بذبحِ ولدِه إسماعيلَ، وأظهر عزمَ إبراهيم وطاعتَه ربَّه، ومنه أخذَ العلماءُ تعظيمَ اليوم الموافِقِ ليومِ وِلادةِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ويجيءُ من هذا إكرام ذرِّيَّةِ رسول الله وأبناءِ الصَّالحينَ وتعظِيمِ ولاةِ الأمورِ الشرعيَّة القائمينَ مقامَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أعمالِهم من الأمراءِ والقُضاةِ والأئمَّةِ» [(٢٥)].

---

(٢٣) تقدم تخريجه.

(٢٤) المدخل (٢/٢-٣) تأليف: أبي عبد الله محمد بن محمد الشهير بابن الحاج- دار التراث- القاهرة.

(٢٥) التَّحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» (١٧٢/٢) تأليف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور- الدار التونسية للنشر- تونس- ١٩٨٤م.



– ويقول الشَّيخ محمد حسنين مخلوف شيخ الأزهر الأسبق: «إنَّ إحياءَ ليلةِ المولد الشَّريفِ وليالي هذا الشَّهرِ الكريم الذي أشرقَ فيه النُّورُ المحمَّديُّ إنَّما يكون بذِكْرِ الله تعالى وشُكرِه لما أنعمَ به على هذه الأمَّةِ من ظهور خيرِ الخَلقِ في عالم الوُجودِ، ولا يكونُ ذلك إلَّا في أدبٍ وخشوعٍ وبُعدٍ عنِ المحرَّماتِ والبدعِ والمنكراتِ. ومن مظاهِرِ الشُّكرِ إطعامُ الطَّعامِ على حُبِّه مِسكينًا ويتيمًا، ومواساة المحتاجينَ بما يخفِّفُ ضائقتَهم وصلة الأرحام، والإحياءُ بهذه الطَّريقة وإن لم يكنْ مأثورًا في عهدِه صلى الله عليه وآله وسلم ولا في عهدِ السَّلفِ الصَّالحِ إلا أنَّه أمرٌ لا بأسَ به وبدعةٌ حسنةٌ».[(٢٦)]

فهذِه نماذجُ من كلامِ أهلِ العِلمِ ونظرتِهم للاحتفالِ بذِكْرَى مولدِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم والقول بمشروعيَّتِه، فهل غابَ عنْ كلِّ هؤلاء العلماءِ مفهوم البدعة والتَّحريم الذي يُنادِي به مَنْ يُحرِّمُ الاحتفالَ بمولده الشَّريف؟ وهل لو كان هناك دليلٌ يصلحُ للتَّحريمِ أو التَّبديعِ أَمَا كانَ يَتَّضحُ أمام العلماء السَّابقينَ، وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(٢٦) فتاوى شرعية وبحوث إسلامية (١٣١/١) تأليف: حسنين محمد مخلوف.



هذا مختصر مبسط لبعض المعلومات الأساسية والضرورية حول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كجزء لا يتجزأ من أصل العقيدة الصحيحة، وبقدر معرفتك به صلى الله عليه وآله وسلم بقدر حبك له، فالسعادة فى الدارين مُعَلَّقَة بِهَدْيِه، ويكفي قوله تعالى ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

* أفضليته صلى الله عليه وآله وسلم: (وَأَفْضَلُ الخَلْقِ عَلَى الإِطْلاقِ .. نَبِيُّنَا فَمِلْ عَنِ الشِّقَاقِ).

* النَّسَب الشريف: سيدنا (محمد) بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف إلى فِهْر (الملقب بقريش)، إلى عدنان إلى سيدنا إسماعيل بن سيدنا إبراهيم عليهما السلام، وأمه آمنة بنت وهب بنت عبد مناف (ويلتقي الأجداد فى النسب الشريف)، وحفظه الله فى نسله من لدن آدم إلى أن وضعته أمه طاهرا مطهرا، من أي سفاح.

* صفاته البدنية: يقول مولانا الإمام العلامة سيدي نور الدين علي جمعة (من علامة سعادة المؤمن أن يحفظ أوصاف النبى صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي كل أوصافه صلى الله عليه وآله وسلم هو أحلى عند كل ذى ذوق سليم وطبع قويم، ومنها أوصاف الرأس الشريف أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان (أَزْهَرَ اللَّوْنِ) أَبْيَضَ مَلِيحًا مُشربا بحمرة، وهو غاية الحُسْن (أَدْعَجَ) شَّدِيدُ بياض البياض وشديد سَوَادِ السواد للعين (أَنْجَلَ) سعة شق العين مع حُسْنِها (أَشْكَلَ) فى بياض عينيه يسير حمرة (أَهْدَبَ الأَشْفَارِ) كثير وطَوِيل شَعر الأجْفَان (أَبْلَجَ) مُشْرِق الوجه (أَزَجَّ) دقيق شعر الحاجبين طويلهما إلى مؤخر العين مع تقوس،

(أقْنَى) وأشَمّ الأنف مرتفع قصبة الأنف ارتفاعا يسيرا مع أحديداب يسير (أفْلَجَ) متباعد بين ثناياه (مُدَوَّرَ الْوَجْهِ) لكن إلى الطول أميل (وَاسِعَ الْجَبِينِ) ممتد الجبين (كَثَّ اللِّحْيَةِ) عظيم اللحية (تَمْلأُ صَدْرَهُ) (رَجِلَ الشَّعْرِ) أى فى شعره تكسر وتثن قليل، وسط بين الْجُعُودَةِ والسبوطة (إذَا افْتَرَّ ضَاحِكًا افْتَرَّ عَنْ مِثْلِ سَنَا الْبَرْقِ وَعَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ) (إذَا تَكَلَّمَ رُئِىَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ ثَنَايَاهُ) حسيا ومعنويا (أَحْسَنَ النَّاسِ عُنُقًا) لاعتداله فى كماله (قال البراء رضي الله عنه: مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِى لِمَّةٍ فِى حُلَّةٍ حَمْرَاءَ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم) (وقَالَ أبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِى فِى وَجْهِهِ) (وإذَا ضَحِكَ يَتَلأْلأُ فِى الْجُدُرِ) (وقالت أمُّ مَعْبَدٍ: أجْمَلُ النَّاسِ مِن بَعِيدٍ وأحْلاهُ وَأَحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ) (وقال ابن أبِي هَالَةَ: يَتَلأْلأُ وَجْهُهُ، تَلأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ) (وقال عليّ رضي الله عنه: مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ). فاللهم صل على سيدنا محمد وآله وارزقنا النظر إلى جماله.

* مزاحه وضحكه: ضحك حتى بدت نواجذه الشريفة، وكان أكثر ضحكه تبسما.

* من معجزاته: القرآن، والإسراء والمعراج، وأنين جذع النخلة، وتفجر الماء بين أصابعه، وانشقاق القمر، وعلاجه لأمراض الصحابة بدعائه ومسحه بيده وريقه، وتكثير الطعام والشراب ببركته، وغير ذلك.

* زوجاته: دخل بـ (١١) امرأة، مات عن (٩)، واثنتان توفيتا فى حياته (خديجة وأم المساكين)، وكانت عشرته معهن فى غاية الشرف والنبل والسمو والحسن كما كُنّ فى أعلى درجة من الشرف والقناعة والصبر والتواضع والخدمة والقيام بحقوق الزوج. وكان لهن فضل كبير فى نقل الأحوال المنزلية والأسس التى يُبْنَى عليها البيت والمجتمع الإسلامى. ومن سراريه السيدة مارية أم ولده إبراهيم، والسيدة ريحانة.

* أولاده: القاسم وعبد الله وقد توفيا، وزينب (وتزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع)، ورقية وأم كلثوم (وتزوجهما عثمان بن عفان الثانية بعد وفاة الأولى)، وفاطمة الزهراء (وتزوجها عليّ بن أبي طالب وأنجب منها الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ومحسن)، وأمهم جميعا خديجة. وكل بناته أسلمن وهاجرن، وتوفين فى حياته إلا فاطمة بعده بستة أشهر، ورُزِقَ إبراهيم من مارية القبطية وتوفي صغيرا.

* إخوته وأخواته من الرضاعة: عمه حمزة، وابن عمته أبو سلمة (من جهة ثُوَيْبَة)، وعبد الله بن الحارث (وأمه حليمة السعدية)، والشيماء، وأنيسة، (أمهم حليمة).

* أعمامه وعماته: الأعمام: عبد الله والد النبى صلى الله عليه وآله وسلم والحارث والزبير

وأبو طالب وحمزة وعبد العُزَّى (أبو لهب) والغيداق والمقوِّم وصِفَار والعباس، والعمات: أم الحكيم وبرة وعاتكة وصفية وأروى وأميمة، وأسلم منهم حمزة والعباس وصفية.

* مواليه: منهم زيد بن حارثة، وثوبان، وشقران، وأنجُشة الحادي، وسفينة، وذكوان. ومن النساء: سلمى أم رافع، وميمونة بنت سعد، ومارية، وريحانة.

* خُدامه: أنس على حوائجه، وابن مسعود صاحب نعله وسواكه، وعقبة بن عامر صاحب بغلته، وأسلع بن شريك صاحب راحلته، وأيمن بن عبيد وكان على مطهرته وحاجته وأمه أم أيمن.

* كُتَّابه: منهم الأربعة الراشدون، والزبير، وعامر بن فهيرة، وعمرو بن العاص، وأبي بن كعب، ومعاوية بن أبي سفيان، وزيد بن ثابت (كان ألزمهم لهذا الشأن وأخصهم به).

* مؤذنوه: بلال، وعمرو بن أم مكتوم، وسعد القرظ بقباء، وأبو محذورة بمكة.

* شعراؤه وخطباؤه: كعب بن مالك، وابن رواحة، وحسان، وكان خطيبه ثابت بن قيس.

* مولده: صبيحة الاثنين ١٢ ربيع الأول عام الفيل، وقيل ٩ وقيل ١٠، ويوافق ٢٠ أو ٢٢ إبريل ٥٧١م، وحدثت عند مولده العديد من المعجزات منها خروج النور وإضاءة قصور بصرى وتصدع شرفة كسرى وغيرها.

* حمله وإرضاعه: لم تشعر أمه بحمله ولم تجد ثقلا كسائر النساء. وشَرُفَت الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف بمباشرة ولادته، كما شرفت بحضانته بركة (أم أيمن)، وأول من أرضعته (ثويبة) أياما قبل أن تقدم حليمة السعدية.

* وفاة أبويه عليهما السلام: تُوفي والده (قبل ولادته) عند بني النجار في رحلة تجارة، وماتت أمه بالأبواء (قرب مكة)، بعد زيارتها أخواله وله ست سنين.

* مبعثه: على رأس الأربعين، وأول ما بدئ به الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم أكرمه الله بالنبوة، فجاءه المَلَك بغار حراء وأقرأه ﴿اقْرَأْ﴾.

* ترتيب الدعوة: النبوة، ثم إنذار عشيرته الأقربين، ثم قومه، ثم قوم ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة، ثم: جميع من بلغته دعوته من الجن والإنس إلى آخر الدهر، ولذلك فالعالم كله أمة الدعوة، والمسلمون أمة الإجابة.

* الهجرتان إلى الحبشة: الأولى (١٢) رجلا و(٤) نسوة منهم عثمان بن عفان مع زوجته رقية، وبعد فترة بلغهم أن قريشا أسلمت وكان خبرا كاذبًا فرجعوا إلى مكة، ثم أذن لهم في الهجرة ثانية فهاجر (٨٣) رجلا و(١٨) امرأة.

* الإسراء: اشتد الأذى وحوصر المسلمون فى شِعْبِ أبي طالب (٣) سنوات وانتهى الحصار بمعجزة أَكْل الأَرَضَة لصحيفة المقاطعة المعلقة فى الكعبة. وبعدها مات أبو طالب ثم خديجة فاشتد الأذى فخرج صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف ورجع بعد أن صَدُّوه وقال دعاءه المشهور (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ..)، ثم كان الإسراء والمعراج، ورؤية المولى عز وجل، وفرض الصلاة.

* البيعة: أقام بمكة يدعو القبائل ويعرض نفسه فى المواسم وساق الله الأنصار إليه وعددهم ٦، عند عقبة مِنَى فدعاهم فاستجابوا ورجعوا إلى المدينة، ثم قدم مكة فى العام القابل (١٢) رجلا من الأنصار فبايعوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند العقبة ثم انصرفوا إلى المدينة. فقدم عليه فى العام القابل منهم (٧٣) رجلا وامرأتان، وهم أهل العقبة الأخيرة.

* الهجرة إلى المدينة: هاجر الصحابة أولا، ثم أذن الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم فى الهجرة فخرج من مكة يوم الاثنين، ومعه الصدِّيق، وعامر بن فهيرة مولى الصديق، ودليلهم عبد الله بن الأريقط الليثى فدخل غار ثور هو والصديق فأقاما ثلاثا ثم أخذا طريق الساحل حتى انتهوا إلى المدينة يوم الاثنين (١٢) ربيع الأول ونزل بقباء فأقام (١٤) يوما وأسس مسجد قباء ثم خرج يوم الجمعة وصلى الجمعة فى بني سالم، ثم دخل المدينة واستقر فيها وبنى مسجده صلى الله عليه وآله وسلم، وبدأ فى تأسيس الدولة الإسلامية.

* مما أكرمه الله به فى الدنيا: أخذ العهد ألا يعذب أمته بعذاب عام كالخسف والمسخ والغرق والمجاعة، وهو أول المسلمين، وخاتم النبيين، وأولى بالأنبياء من أممهم، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأنه مِنَّة الله على المؤمنين، ورحمة للعالمين، وأمان لأمته، ورسالته عامة، وتكفل الله بحفظه، ولم يناده الله باسمه، ونهى عن رفع الصوت فى حضرته، وفُرِض بعض شرعه فى السماء، واستمرار الصلاة عليه، وأقسم الله به وببلدته، والإسراء والمعراج، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإسلام قرينه له، وما بين بيته ومنبره روضه من رياض الجنة، ورؤيته فى المنام حق، ويرى من وراء ظهره، وخاتم النبوة فى ظهره، وجعلت الأرض له مسجدا وطهورا، ونُصِر بالرعب مسيرة شهر، وزويت الأرض له، وجعل الله طاعته من طاعته، وغير ذلك، وجماعه ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾.

* مما أكرمه الله به فى الآخرة: جسده لا يبلى، وأول من يُبْعَث، وأول شافع، وأول مشفع، بيده لواء الحمد، وأول من يدخل الجنة، وأول من يجيز الصراط، والأنبياء تحت لوائه، وله مكانة عند العرش، وأكثر

الأنبياء تبعا، وأعطي الكوثر، وإعطاؤه الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود، والشفاعة، وروحه مردودة مع كل صلاة أو تسليم.

* بعض صفاته العامة: أوتي البلاغة والفصاحة وجوامع الكلم، وسلاسة الطبع، والحلم والاحتمال والعفو عند المقدرة، والجود والكرم وعطاء من لا يخشى الفقر، والرحمة والشفقة، والوفاء، والتواضع، والأمانة، والشجاعة والنجدة والبأس، وأشد الناس حياء وأعدلهم وأعفهم، ولا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، وهذه خطوط قصار من مظاهر كماله وعظيم صفاته، ويكفى أن خلقه القرآن ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

* الإيمان به وثواب محبته: من أصل العقيدة، وطاعته واجبة، ومحبته لازمة وركن من أركان الإيمان.

* احترامه والأدب معه: الصلاة عليه فى كل وقت وفى كل حين، والاقتداء به واتباع هديه، وتعظيمه عند ذكره وتوقيره وإظهار الخشوع والانكسار عند سماع اسمه، وكثرة ذكره والشوق للقائه، ومحبة آل بيته وأصحابه ومن يحبهم، والشفقة على أمته ونصحهم والسعي فى مصالحهم ورفع الْمَضَارّ عنهم.

* صحابته: قيل (١١٤) ألفا منهم (١٠) آلاف فى البقيع.

* حجه وعُمَرَه: حجة واحدة (حجة الوداع عام١٠ هـ)، وأحرم بالعمرة عام الحديبية٦ هـ، وأحل منها بعد الصلح ولم يكملها، ثم اعتمر عمرة القضاء٧ هـ، ثم من الجعرانة٨ هـ، ثم التى كانت مع حجته.

* غزواته وسراياه: قيل (٢٧) غزوة (ما خرج فيها صلى الله عليه وآله وسلم سواء قاتل أم لا)، ومنها بدر وأُحُد وبني قينقاع وخيبر وبني النضير والأحزاب وفتح مكة وحنين، وقيل (٤٧) سرية (ما خرج فيها أحد قادته، ومنها سرية مؤتة).

* ما يجب الاعتقاد فيه وفى سائر الأنبياء: يثبت لهم الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة، واستحالة الكذب والخيانة وكتمان الرسالة والبلادة (الغباء)، ويجوز فى حقهم كل عَرَض كخفيف المرض وكذا النصب والجوع والعطش والنوم والموت، وغير ذلك من أحوال سائر البشر. فظاهرهم وأجسادهم وَبِنْيَتِهم مع البشر، وروحهم وباطنهم مع الملائكة تتصل بالملأ الأعلى لا يلحقها عجز البشرية ولا ضعف الإنسانية.

* انتقاله إلى الرفيق الأعلى: بدأ المرض فى (٢٩) صفر (١١هـ)، وصلى بالناس وهو مريض (١١) يوما وقضى آخر أسبوع من حياته صلى الله عليه وآله وسلم فى بيت عائشة، وقبل الوفاة بخمسة أيام دخل المسجد وهو معصوب الرأس وخطب الناس وعرض نفسه للقصاص

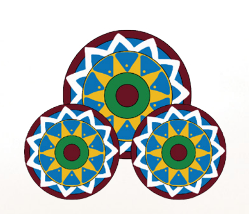
وصلى الظهر وأوصى بالأنصار ثم قال: ((إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَكَانَ صلى الله عليه وآله وسلم هُوَ الْمُخَيَّرَ))، وقبل الوفاة بيوم أعتق صلى الله عليه وآله وسلم كل غلمانه وتصدق بما عنده ووهب للمسلمين أسلحته، وفي الليل استعارت عائشة الزيت للمصباح من جارتها.

وفي صلاة فجر الاثنين، وأبو بكر يصلي بالناس، كشف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم صفوف في الصلاة وتبسم يضحك وأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر ثم لم يأت عليه صلى الله عليه وآله وسلم وقت صلاة أخرى. ولما ارتفع الضحى سر إلى ابنته فاطمة بأنه يقبض في وجعه الذى توفى فيه وأنها أول أهله يتبعه وبشرها بأنها سيدة نساء العالمين، ولما رأت ما به من الكرب الشديد قَالَتْ: وَاكَرْبَ أَبَاهُ، فَقَالَ: لَهَا لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ، ودعا أهله فوعظهن وذكرهن وأوصى الناس بالصلاة وكرر ذلك مرارا صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة وما ملكت أيمانكم، وبدأ الاحتضار فأسندته عائشة إليها وتسوك بالسواك ومسح وجهه الشريف بماء وهو يقول لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ إنا لله وإنا إليه راجعون.

وكان ذلك حين اشتد الضحى من يوم الاثنين (١٢) ربيع الأول سنة (١١هـ)، وقد تم له ثلاث وستون سنة وزادت أربعة أيام.

ويوم الثلاثاء غسلوه صلى الله عليه وآله وسلم في ثيابه وكفنوه ودفنوه حيث قُبِض، ودخل الناس الحجرة أرسالا عشرة فعشرة يصلون عليه ولا يؤمهم أحد، ومضى في ذلك يوم الثلاثاء حتى دخلت ليلة الأربعاء قالت عائشة: ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل من ليلة الأربعاء. قال أنس: ((ما رأيت يوما قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما رأيت يوما كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله)).

وقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَام: ((يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ يَا أَبَتَاهْ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ)).





أخرج مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشًا من كنانة واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم»، ومما لا شك فيه أن نبينا- صلى الله عليه وآله وسلم- هو صفوة الصفوة من الخليقة، اصطفاه الله تعالى على العالمين، واختاره من بين خلقه وجعله إمام المرسلين وسيد ولد آدم أجمعين.

ولم يكن هذا الاصطفاء مختصًا بجانبٍ دونَ جانبٍ، كأن يكون في جانب النسب وحده، أو الخُلُقِ الكريم وحده ..إلخ، ولكنه اصطفاء تام شامل لكل ما يتعلق بجنابه صلي الله عليه وآله وسلم، ولأن جوانب هذا الاصطفاء متعددة فإننا سنلقي الضوء على بعض معالمه :

١. احتفاء الحق سبحانه بحبيبه وأخذ العهد والميثاق له، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَٰقَ النَّبِيِّنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

وتدل هذه الآية الكريمة على أن الله تعالى أخذ العهد والميثاق لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم من النبيين عليهم السلام، وقد اختلف في المراد من الآية، فقيل: إنها على ظاهرها ويؤيد ذلك ما أخرجه ابن جرير عن علي كرم الله تعالى وجهه قال: لم يبعث الله تعالى نبيًا -آدم فمن بعده - إلا أَخذَ عليهِ العهد في محمدٍ صلى الله عليه وسلم لئن بُعثَ وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه ثم تلا الآية.

وقيل : إن إضافة الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الفاعل، والمعنى: وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه النبيون على أممهم وإلى هذا ذهب ابن عباس.

وقيل: المرادُ أمم النبيين على حذف المضاف، وإليه ذهب الصادق رضي الله تعالى عنه؛ وقيل : المضاف المحذوف أولاد، والمراد بهم على الصحيح بنو إسرائيل لكثرة أولاد الأنبياء فيهم وأن السياق في شأنهم، وأَخْذُ الميثاقِ من النبيين له صلى الله عليه وسلم، مع علمه سبحانه بأن كونهم لا يدركون وقته لا يمنع من ذلك؛ لما فيه مع ما علمه الله تعالى من التعظيم له صلى الله عليه وسلم والتفخيم ورفعة الشأن والتنويه بالذكر ما لا ينبغي إلا لذلك الجناب.

واختلفوا أيضا في حصول أخذ العهد أكان في كتبهم أم في عالم الذر؟ على قولين عند أهل العلم.

والذى رجحه الألوسي هو الأول، قال رحمه الله تعالى: وتعظم الفائدة إذا كان ذلك الأخذ عليهم في كتبهم لا في عالم الذر، فإنه بعيد كبعدِ ذلكَ الزمان، كما عليه البعض ويؤيد القول بأخذ الميثاق من الأنبياء الموجب لإيمان من أدركه عليه الصلاة والسلام منهم به ما أخرجه أبو يعلى عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، فإما أن تصدقوا بباطل، وإما أن تكذبوا بحق وإنه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني» وفي معناه أخبار كثيرة وهي تؤيد كثيرة وهي تؤيد بظاهرها ما قلنا.... ومن هنا ذهب العارفون إلى أنه صلى الله عليه وسلم هو النبي المطلق والرسول الحقيقي والمشرع الاستقلالي، وأن من سواه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في حكم التبعية له صلى الله عليه وسلم.

أقول:

ومن هنا قال بعض العارفين بأن نبوته- صلى الله عليه وآله وسلم- مستمد النبوات فما من نبي ولا رسول منهم إلا كان يبعث بجزئيات وكليات من شريعته العامة، فنبوته صلي الله عليه وآله وسلم أصل ورسالته صلى الله عليه وآله وسلم هي الرسالة الجامعة، ولذلك أُرسل إلى سائر الأنبياء وهذا معنى إرساله صلوات الله عليه وعلى آله «إلى الناس كافة».

قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى: «صرح السبكي في تأليف له بأنه صلى الله عليه وسلم أرسل إلى جميع الأنبياء، آدم فمن بعده وأنه صلى الله عليه وسلم نبي عليهم ورسول إلى جميعهم، واستدل على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم «كنت نبيًا وآدم بين الروح والجسد» وقوله صلى الله عليه وسلم «بعثت إلى الناس كافة». قال: ولهذا أخذ الله المواثيق له على الأنبياء كما قال الله تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري، قالوا أقررنا قال فاشهدوا

وأنا معكم من الشاهدين).

قلت: أخرج ابن أبي حاتم عن السدي في الآية قال لم يبعث نبي قط من لدن نوح إلا أخذ الله ميثاقه ليؤمنن بمحمد صلي الله عليه وآله وسلم .

قال السبكي : عرفنا بالخبر الصحيح حصول الكمال من قبلِ خَلقِ آدمَ لنبينا صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه، وأنه أعطاه النبوة من ذلك الوقت، ثم أخذ له المواثيق على الأنبياء ليعلموا أنه المقدم عليهم وأنه نبيهم ورسولهم وفي أخذ المواثيق وهي في معنى الاستخلاف ولذلك دخلت لام القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه... وهي كأنها أيمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء ولعل أيمان الخلفاء أخذت من هنا. فانظر هذا التعظيم العظيم للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه. فإذا عرفت ذلك، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو نبي الأنبياء ولهذا ظهر ذلك في الآخرة، فجميع الأنبياء تحت لوائه وفي الدنيا، وكذلك ليلة الإسراء صلى بهم، ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم، فنبوته عليهم ورسالته إليهم معنى حاصل له، وإنما أمره يتوقف على اجتماعهم معه، فتأخرَ ذلكَ لأمرٍ راجعٍ إلى وجودهم لا إلى عدم اتصافه بما يقتضيه، وفرقٌ بينَ توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على أهلية الفاعل، فها هنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة، وإنما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك.

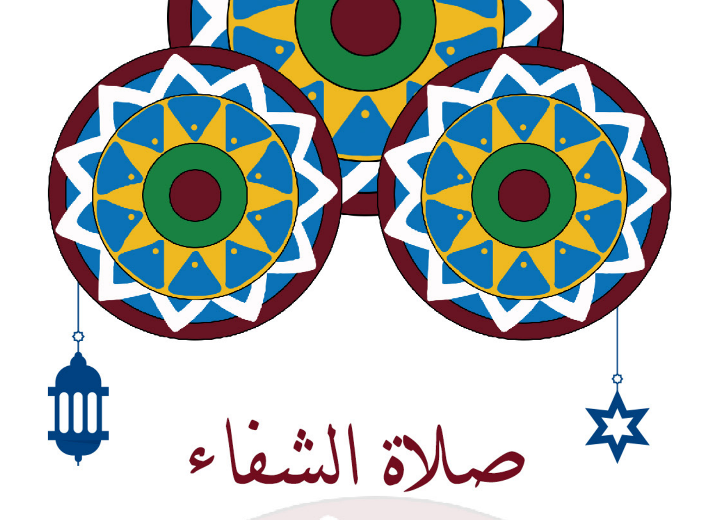
ولهذا يأتي عيسى في آخر الزمان على شريعته ويتعلق بما فيها من أمر ونهي، كما يتعلق بسائر الأمة وهو نبي كريم على حاله لم ينقص منه شيء.

وكذلك لو بعث النبي- صلى الله عليه وسلم- في زمانه أو في زمان موسى وإبراهيم ونوح وآدم وكانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم إلى أممهم ،والنبي- صلى الله عليه وسلم- نبي عليهم ورسول إلى جميعهم، فنبوته ورسالته أعم وأشمل وأعظم وتتفق مع شرائعهم في الأصول وتقدم شريعته فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع، إما على سبيل التخصيص، وإما على سبيل النسخ، أو لا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي- صلى الله عليه وسلم- في تلك الأوقات بالنسبة إلى أولئك الأمم ما جاءت به أنبياؤهم وفي هذا الوقت بالنسبة إلى هذه الأمة الشريفة، والأحكام تختلف باختلاف الأشخاص والأوقات»، انتهى كلام السبكي.

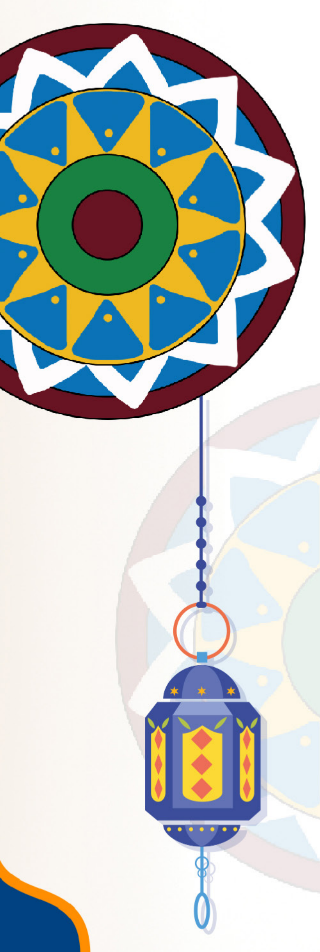
قال الحافظ السيوطى : وهذا التقرير الذي قرره السبكي قد أشار إليه الشرف البوصيري وقد مات قبل مولد السبكي بقوله في البردة:

وكل آيٍ أتى الرسل الكرام بها
فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها
يظهرن أنوارها للناس في الظلم.

يتبع.....



صلاة الشفاء





اللهم صلِّ على سيدنا محمد

طِبِّ القلوب ودوائها

وعافية الأبدان وشفائها

ونور الأبصار وضيائها

وقوت الأرواح وغذائها

وعلى آله وصحبه وسلِّم

في كل لمحة ونفس

عدد ما وسعهُ علم الله



٩



فقه الحديث النبوي

د/ أحمد ممدوح

أمين الفتوى بدار الإفتاء المصرية

شرح حديث:
«ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بُعثت، أو: أنزل عليّ فيه»

(٢)

عن أبي قتادة الأنصاري أنه لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الاثنين؟ قال: «ذاك يومٌ وُلِدتُ فيه، ويوم بُعثت، أو: أُنزِلَ عليّ فيه».

الشرح :

هذا حديث شريف رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس.

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه،ورواه أبو داود عنه أنه قال: يا رسول الله، أرأيت صوم يوم الاثنين، ويوم الخميس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

«فيه ولدت، وفيه أنزل علي القرآن».

وفي هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئِل عن فضل صيام يوم الاثنين أو عن الحكمة من تخصيصه إياه بالصوم عن باقي الأيام، فأجاب منوهًا بشأن هذا اليوم المبارك: «ذاك يومٌ ولدت فيه، ويوم بُعثت، أو: أنزل عليّ فيه»

والتنوين في قوله: «يوم» للتعظيم، وقوله: «ولدت فيه، ويوم بعثت» أفاد به أن شرفه بما ظهر فيه من ولادته وبعثته.

و«أو» شك من الراوي هل قال: «بعثت فيه» أو قال: «أُنزِل عليَّ فيه» ؟ أي: الوحي؛ فنائب الفاعل مستتر.

والأحاديث في فضل يوم الاثنين وفضل صيامه متعددة؛ منها: ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أَنظِروا هذين حتى يصطلحا، أَنظِروا هذين حتى يصطلحا، أَنظِروا هذين حتى يصطلحا».

وما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم».

وهذا الحديث الذي نحن بصدده دال على أن الزمان قد يتشرف بما يقع فيه، وأنه ينبغي تعظيم اليوم الذي أحدث الله فيه على عبده نعمة بصومه والتقرب فيه.

وقد ذكر فيه تشرف ذلك اليوم الميمون بمولد النبي صلى الله عليه وسلم ومجيئه إلى العالم، ثم استنارته ببعثته الشريفة، ولا شك أن النعمة الكبرى على العالم هو مجيء النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذه الحياة ليحمل الشريعة الخاتمة والدين الكامل ويبلغه إلى العالمين فيخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويكون قائدًا لهم إلى النعيم المقيم؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي في «لطائف المعارف» : «أعظم نعم الله على هذه الأمة: إظهار محمد صلى الله عليه وسلم لهم، وبعثته وإرساله إليهم؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ [آل عمران: ١٦٤]؛ فإن النعمة على الأمة بإرساله أعظم من النعمة عليهم بإيجاد السماء والأرض والشمس والقمر والرياح والليل والنهار وإنزال المطر وإخراج النبات وغير ذلك؛ فإن هذه النعم كلها قد عَمَّت خلقًا من بني آدم كفروا بالله وبرسله وبلقائه، فبدلوا نعمة الله كفرًا، فأما النعمة بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم، فإن بها تمت مصالح الدنيا والآخرة، وكمل بسببها دين الله الذي رضيه لعباده، وكان قبوله سبب سعادتهم في دنياهم وآخرتهم»اهـ.

ويستفاد من الحديث الشريف مشروعية الاحتفال بالذكرى العطرة للمولد النبوي الشريف؛ فقد ذكر أن المعنى الذي من أجله يصوم في ذلك اليوم الكريم هو كونه يوم ولادته ويوم بعثته، فكأن كون يوم الإثنين يوم مولده الشريف هو العلة في الصيام أو جزء العلة، ويكون هذا من باب اقتران الوصف بالحكم، وهو ما يعرف في علم الأصول بالإيماء؛ وهو أحد المسالك التي يمكن أن يتعرف بها على العلة في مبحث القياس.

فإذا كان مجيء النبي صلى الله عليه وسلم للدنيا أعظم نعمة، فشكر النعم وذكرها مطلوب مطلقًا؛ يقول تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[النحل: ١١٤]، وقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[المائدة: ٧].

وكذلك قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[يونس: ٥٨]، ومما جاء في تفسيره ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «فضل الله: العلم، وَرَحمته: مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم؛ قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]».

ومعلوم أن محبة النبي صلى الله عليه وسلم واجبة لازمة، ومثلها أيضًا تعظيمه صلى الله عليه وسلم. والشرع الشريف لم يحدد وسائل مخصوصة لشكر نعم الله تعالى، ولا لذكرها وتذكرها، ولا للفرح بها، ولا للتعبير عن محبة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو تعظيمه وتوقيره، فلزم أن تترك هذه الوسائل على أصل الجواز، ما لم تصادم إحداها دليلا شرعيًّا أو أصلا مستقرًّا. والقاعدةُ الأصولية أن المطلق يجري على إطلاقه حتى يأتي ما يقيده. فإن لم تصادم شيئًا مما ذكر كانت من حيث هي مفضية للمقصود المطلوب مطلوبة؛ والشرع يُثيب على الوسائل إلى الطاعات كما يُثيب على المقاصد؛ لأن الوسائل لها أحكام المقاصد، والإذن في الشيء إذن في مكملات مقصوده.

وإذا كان شكر هذه النعمة مطلوبًا في كل وقت، فإنه يتأكد في موعد حدوثها؛ لقوة المناسبة حينئذ.

وإذا كان إعلان الفرح بمجيء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورجوعه سالمِا من الحرب أمرًا مشروعًا ولو كان بضرب الدف والغناء؛ فلأن يكون الفرح بمجيئه إلى العالم وإعلان ذلك بالوسائل المختلفة أولى بالمشروعية؛ فروى الترمذي عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد خرج في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جارية سوداء، فقالت: يا رسول الله، إني كنت نذرت إن ردك الله صالحًا أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا»، فجعلت تضرب. وهذا الاستدلال هو ما يسمى في علم الأصول بـ«القياس الأولى»، وهو: ما كان الفرع فيه أولى بالحكم من الأصل؛ لقوة العلة فيه، مثل: قياس الضرب على التأفيف، بجامع الإيذاء، فإن الضرب أولى بالتحريم من التأفيف؛ لشدة الإيذاء. وهو من أنواع القياس الجلي الذي يقطع فيه بنفي تأثير الفارق بين الأصل والفرع.

ومن الأدلة أيضًا: ما رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صيامًا يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟» فقالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا، فنحن نصومه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فنحن أحق وأولى بموسى منكم»، فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر بصيامه.

ولما سئل الحافظ ابن حجر عن عمل المولد، أجاب بما نصه: «أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت

على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها، كان بدعة حسنة، وإلا فلا»، قال: «وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت؛ وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكرا لله تعالى، فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما مَنَّ به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة. والشكر لله يحصل بأنواع العبادة؛ كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة. وأيُّ نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم؟ وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء، ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر، بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة، وفيه ما فيه. فهذا ما يتعلق بأصل عمله. وأما ما يعمل فيه: فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير والعمل للآخرة، وأما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك فينبغي أن يقال: ما كان من ذلك مباحًا بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم، لا بأس بإلحاقه به، وما كان حرامًا أو مكروهًا فيمنع، وكذا ما كان خلاف الأولى»اهـ.

وقد تتابع كثير من العلماء على مر العصور وتتابع الدهور على إقرار هذا الفعل واستحسانه لكونه مظهرًا من مظاهر الفرح بالنبي صلى الله عليه وسلم والشكر لنعمة الله تعالى العظيمة ومنته الجسيمة على عباده بأن أبرز لنا شخص هذا النبي الكريم إلى الوجود.

ومن اللطائف ما حكاه الصالحي في «السيرة الشامية» عن الشيخ أبي موسى الزّرهونيّ أنه قال: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فذكرت له ما يقوله الفقهاء في عمل الولائم في المولد، فقال صلى الله عليه وسلم: «من فرح بنا فرحنا به»»اهـ.

ونصوص العلماء في ذلك المعنى متتابعة كثيرة، وتآليفهم في نصرة القول بجواز الاحتفال بالمولد الأشرف عديدة، ومصنفاتهم في مولد النبي صلى الله عليه وسلم منتشرة.

وقد تتبع العلامة الشيخ محمد عبد الحي الكتاني ما استطاعه من كتب الموالد، ورتبها على حروف المعجم في مؤلف له فريد بعنوان: «التآليف المولدية».

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد والحمد لله رب العالمين.



١٠ المثلث الذهبي والتوازن الروحي

خالد محمد غز



الكتاب المقدور والكتاب المسطور والكتاب المنظور

يقول شيخنا رضي الله عنه : الكتاب المقدور هو الإنسان وقد وهب الله له عقلاً يتلقى، يفهم، يحفظ، يسترجع، يؤدي، يربط المعلومات، يبتكر، يبدع، يتعلم وكل هذا وضع الله تعالى له أسسه ومفاتحه في كتاب الله المسطور وهو القرآن الكريم وكتاب الله المنظور وهو الكون وجعل الله تعالى الكتاب المسطور والكتاب المنظور مصدراً للمعرفة ولذلك هما لا يتعارضان إطلاقا لأن الثلاثة من عند الله يقول الله تعالى : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، أي له الخلق وهو (الأكوان) وله الأمر وهو (القرآن)، فلا يتعارض القرآن مع حقائق الأكوان.

من أجل ذلك كان هذا الباب للحاجة إلى أن نقوم بالنظر في الكتابين معاً المسطور والمنظور ونستقرئ الآيات فيهما ونربط بينهما في محاولة للوصول إلى الفهم الصحيح الذي يخدم الإنسان ويعزز مهمته التي كلفه الخالق عز وجل بها في هذا الكون وهي عبادته سبحانه وتعالى ، والتصوف لا ينفصل عن الدين ولا عن العلم ولا عن الكون بل هو جماع ذلك كله في سبيل الوصول إلى مقام الإحسان فهيا بنا

بناعلى بركة الله تعالى نسير في سبيل تحقيق ذلك الهدف.

الروحانية في العصر الحديث

مهمة الإنسان وعلاقتها بالكون الموزون: خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان لمهمة سامية محددة في هذا الكون وهي عبادته سبحانه وتعالى قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومن أجل قيام الإنسان بتأدية هذه المهمة السامية على الوجه الأتم الأحسن جعل الله تعالى له من المقومات والخصائص الذاتية ما يتناسب مع تلك المهمة فخلقه في هيئة معينة تلائم تلك الوظيفة يقول تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين:٤]. كما هيأ الله تعالى للإنسان المكان أو البيئة التي سيؤدي فيها مهمته على هيئة مخصوصة مقدرة بميزان دقيق لتناسب تلك المهمة وتناسب خلقة هذا الكائن وطبيعته وفطرته بما يحقق تناغماً ما بين خصائص وهيئة وخلقة الإنسان وبين البيئة المحيطة به والتي هي بيئة تكليفه كي يؤدي تلك المهمة دون معاناة أو تصادم ويتفرغ لما خلق من أجله يقول تعالى :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الجاثية:١٣]

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[القمر: ٤٩]

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾[الحجر: ١٩]

ثم هيأ الله تعالى للإنسان الأرزاق من طعام وشراب ودواء وكساء وحتى الحلية التي يتزين بها خلق المولى له كل ذلك وغيره بما يتناسب أيضاً مع طبيعته وبما يحقق له النفع ويدرأ عنه المضرة قال تعالى :

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[غافر: ٦٤]

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦]

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:١٤]

العصر الحديث وتراجع الروحانية

و مرت الدهور تلو الدهور والأمر مستقر حتى أتى العصر الحديث وبدأت الثورة الصناعية ورأينا كيف جاء الإنسان بأمور مستحدثة في سبيل تيسير شئونه الحياتية ودعم رفاهيته فاخترع الآلات والمعدات الحديثة التي كان من آثارها الانبعاثات والاشعاعات الضارة والتي أثرت بلا شك على صحة بدنه بل وعلى سمو روحانيته - كما سنفصل لاحقاً – هذا إلى جانب ما أدخله على مصادر غذائه ما غير عنصر الطيبة في طعامه من خلال العمليات التصنيعية التي أدخلت على الغذاء في مجالات الزراعة والتدجين وعلى مياه

مياه الشرب وتصنيع الدواء وفي مجال الحفظ والتخزين عبر تقنيات التخليق والهرمنة والتحويل وكذلك مما استحدث في مجالات المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات وغير ذلك الكثير ما أحدث اختلالاً بميزان البيئة .

ورغم ما أسدته هذه المخترعات والتقنيات المستحدثة للإنسان من منافع إلا أنه كان لها من الآثار السلبية والتداعيات على توازنه الصحى والبدني والروحي أضعاف تلك المنافع بسبب الاختلال الذي طرأ على التوازن البيئي الذي فطره الله تعالى وقدره بحكمته الإلهية.

والإنسان روح وجسد ما يضر أحدهما فإنه يضر الآخر بشكل ما وهذه الأثار السلبية أحدثت في رأيي أموراً تفوق ما قد يتخيله الإنسان وأثقلت كاهله وأدت إلى ضعف بنيته وتدني روحانيته لاختلال الميزان الذي به قوام الإنسان فلم يعد بمقدوره أن يعمر الكون بالعبادة والذكر والتفكر وخرج من وظيفته التي خلق من أجلها فبات عالة وعبئاً على الكون بأسره مما يستدعي أن يعيد الإنسان التفكير مرة أخرى وويرسي قواعد الرشد والترشيد في التعامل مع تلك المستحدثات حتى يستفيد من خيرها متجنباً شرورها .

مفاسد تغيير الخلقة التي فطر الله عليها الكون

و للتأكيد على خطورة تغيير خلق الله تعالى في كونه الذي خلقه بمقدار وحكمة وميزان دقيق وسخره خدمة للإنسان وعوناً له على مهمته نجول في كتاب الله تعالى المسطور فنرى المولى عز و جل يقول : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]، ويقول تعالى : ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١١٩]

تتجلى لنا من الآية الكريمة أمورٌ نفهم من خلالها أن تغيير نمط وطبيعة ما خلق الله تعالى التي هي من فطرة الله هو نوع من موالاة الشيطان وعاقبته الخسران فهو إفساد للكون والإنسان للتشويش على مهمته التي خلقه الله تعالى من أجلها فحق له أن يذوق من جنس ما فعل وطغى يقول تعالى : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

المدخل إلى استعادة الإنسان توازنه الروحي

فكان ولا بد على الإنسان كي يستعيد الاتزان البدني والروحي مرة أخرى أن يحافظ على ما تبقى له بل ويحاول أن يستعيد ما فقده مما وهبه الله تعالى من نعم وأولها جسده ونفسه وروحه التي بها قوام حياته والتي بها يعايش دينه ودنياه، فإذا ما وجد ما يشوش عليه في سبيله لذلك وجب عليه أن يدفعه عنه بشتى الوسائل وهذا فطرة أما شرعاً وديناً فإن المسلم مطالب بذلك خاصة إذا كان ذلك يشغله عن عبادته ويشوش عليه علاقته بربه جل وعلا ومما يدل على

ذلك الحديث الشريف الذي ورد عن السيدة عائشة رضي الله عنها: ((أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في خميصة لها أعلام فنظر إلى أعلامها نظرة فلما انصرف قال اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم وأتوني بأنبجانية أبي جهم فإنها ألهتني آنفا عن صلاتي وقال هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قال صلى الله عليه وسلم كنت أنظر إلى علمها وأنا في الصلاة فأخاف أن تفتنني)) [1]

نرى في سياق الحديث الشريف كيف تخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم من خميصة وهي ليست أكثر من قطعة من القماش بها بعض النقوش لمجرد أنها قد تلفت نظره الشريف ولو للحظة عن التركيز في الصلاة، فما بالنا وقد ظهر لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن وسائل التكنولوجيا الحديثة - رغم منافعها- لها من المثالب الملهية بجانب الانبعاثات والاشعاعات الضارة التي غيرت الطبيعة الكونية والجو العام الذي يحيط بالإنسان فأثر ذلك عليه وعلى صحته البدنية والنفسية بل وعلى روحانيته ووجدانه ووعيه كما قد ثبت بالدراسات العلمية وسيظهر لنا لاحقاً فشوش عليه حياته وعبادته وتركيزه، فماذا نحن فاعلون كي نستفيد من الوسائل التكنولوجية وفي ذات الحين نتجنب مضارها؟

وهذا ما سنحاول أن نتناوله بعد أن نشرح العلاقة بين المشوشات التي نتجت عن التقنيات الحديثة وبين الروحانية عند الإنسان وكيف نتفاداها دون أن نتصادم مع التكنولوجيا ووسائلها الحديثة وذلك عبر ثلاثة محاور نذكرها بشيء من الاختصار.

(١) صحيح البخاري

و من أجل ذلك كانت هذه المقالات التي تتضمن العديد من الاجراءات والتوصيات في سبيل وضع برنامج حياة شامل ومتكامل في محاولة لإعادة الصفاء الروحي والنفسي للإنسان مما يساهم في تقوية روحانيته وسط الزخم الذي يحيط به من الملوثات والمشتتات التي نشأت عن التكنولوجيا الحديثة بأدواتها ووسائلها.

عبر محاور ثلاث يمكن أن نجعلها منطلقاً وأساساً لهذا الغرض وجمعناها وأطلقنا عليها مصطلح (المثلث الذهبي) لنرسي عليه خطة مقترحة يمكن من خلالها وقف النزيف الروحي لدى الإنسان في وقتنا الحاضر ومستقبلاً ونعيد ترميم ما تهدم من الروحانية ولكل محور من هذه المحاور تفاصيله:

النفس الزكية وطريق الوصول إليها (تلاوة القرآن والذكر والتفكر)

التغذية الصحية وطريق الوصول إليها (الطعام والشراب والدواء الحلال والطيب)

البيئة السوية وطريقة الوصول إليها عودة التوازن البيئي ومواجهة التلوثات بأنواعها المختلفة وأهمها في مجال حديثنا هي (الاشعاعات والانبعاثات الضارة)

وسوف نركز على الجزء المتعلق بالبيئة الصحية المتوازنة من خلال تسليط الضوء على الآثار الضارة التي صاحبت التقنيات المستحدثة وكيف تساهم التغذية الصحية والبيئة السوية وتزكية النفس في إعادة التوازن الروحي عبر الذكر والفكر وتلاوة القرآن الكريم ومجربات المشايخ وأمورٍ عديدة لا يتسع المجال لذكرها الآن. والله تعالى الموفق والمستعان والهادي إلى الصراط المستقيم......**يتبع**



١١

الاحتفال بالمولد الشريف بين أدلة المحبين وشبهات الغافلين

د. مختار محسن الأزهري

أمين فتوى بدار الإفتاء المصرية

facebook.com/mokhtar.mohsn

في شهر ربيع الأنور من كل عام تهب نسماتُ المحبة والشوق إلى رحاب سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فكل من عرف شيئًا من مقامه الشريف وفضله المنيف لا بد أن يكون مستعدًا للفرح والتعبير عن المحبة الخالصة لهذا الإنسان الكامل الذي اصطفاه ربُّه ليكون للعالمين رحمة، وللمتقين إمامًا، وللجنة قائدًا.

ورغم وضوح هذه المعاني في قلوب المحبين بما لا يدع مجالًا للشك في أن الاحتفال بمولده الشريف هو من أعظم القربات عند الله؛ إلا أن حكمة الله في خلقه اقتضت أن يكون منهم من استولت عليهم الغفلة واستحوذت عليهم الأهواء حتى وصفوا الاحتفال بمولده الشريف بالبدعة في الدين، واتهموا جماهير المسلمين من العلماء والمحبين بالمبتدعة الضالين، وأغرق بعضهم في الزيغ والجهالة حتى وصف الاحتفال بمولده الشريف بالذريعة للشرك الأكبر المخرج عن الملة! [١] وهو قول يدلنا على تلاعب الشيطان بأمثال هؤلاء الجاهلين الذين يسهل عندهم وصف المؤمنين الموحدين بالكفر والضلال لمجرد مخالفة أهوائهم السقيمة وأفكارهم الذميمة.

(١) ينظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للفوزان صـ٣٣٣ ط.ابن الجوزي، المولد النبوي: هل نحتفل؟ شحاتة محمد صقر صـ٣٢ دار الخلفاء الراشدين -الإسكندرية

وإذا رجعنا إلى دائرة المحبين وأولياء الله الصالحين فإننا نجدهم يتمسكون بالنصوص الشرعية ويعتمدون على الأدلة المرعية، وذلك على عكس الجاهلين المتنطعين الذين يتمسكون بالعدم ويعتمدون على الأوهام والشبهات.

فإننا إذا سألنا أحد هؤلاء المنكرين ما الذي حملك على تبديع المسلمين في احتفالهم بسيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال لك: إنه لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم احتفل بيوم مولده ولا الصحابة الكرام.

وهو تمسك بما ليس بدليل شرعًا؛ فمن المقرر عند جماهير علماء الأمة أن مجرد عدم الفعل من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يدل على المنع فضلًا عن عدِّه بدعة؛ ولم يقل أحد من الأئمة المتبوعين الثقات: إن مجرد ترك فعل معين من قِبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو تحريم لذلك الفعل! وهو ما فصَّله وبينه شيخ شيخنا الإمام المجتهد الأصولي سيدي عبد الله بن الصديق الغماري الحسني في رسالته «حسن التفهم والدرك لمسألة الترك» حيث قال: والترك وحدَه إن لم يصحبه نصٌّ على أن المتروك محظور لا يكون حجة في ذلك بل غايته أن يفيد أن ترك ذلك الفعل مشروع، وأما أن ذلك الفعل المتروك يكون محظوراً فهذا لا يستفاد من الترك وحده، وإنما يستفاد من دليل يدل عليه» [٢] . اهـ.

فلا دليل لديهم إذن على تحريم ومنع الاحتفال بالمولد الشريف، وفي المقابل إذا طالعنا كلامَ العلماء والأولياء والمحبين سنجد عشرات الأدلة والبراهين التي لا يكفي فيها ذلك المقال ولا غيره؛ إذ شواهد تعظيمه وتوقيره أكثر من أن يعدها العادُّون.

ومن أوضح هذه الأدلة وأظهرها أن المولد الشريف ما هو إلا تعظيم ليوم معظم عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد عظمه بالفعل سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم ففي الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه أنه صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن صوم يوم الاثنين؟ قال: «ذاك يومٌ ولدت فيه» [٣]

وأول ما نلحظه في هذا الحديث المبارك هو إشارته لهذا اليوم باسم الإشارة «ذاك» الذي يفيد في الأمور المعنوية التعظيم، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكتف بالإشارة لتعظيمه وحسب، بل إنه استوعب هذا اليوم بعبادة الصوم؛ شكرا لربه على هذه النعمة ونظير ذلك ما شرعه صلى الله عليه وآله وسلم من صوم يوم عاشوراء؛ كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدم المدينة، فوجد اليهود صيامًا يومَ عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَهُ؟» فقالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه وغرَّق فرعون وقومه، فصامه موسى

(٢) انظر رسالة: حسن التفهم والدرك لمسألة الترك للحافظ عبد الله الغماري صـ١١ ط.مكتبة القاهرة.

(٣) صحيح مسلم كتاب الصوم، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل أسبوع، حديث رقم: ١١٦٢

شكرًا، فنحن نصومه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ» فصامه صلى الله عليه وآله وسلم، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ». [٤]

قال الحافظ ابن حجر كما نقل عنه الإمام السيوطي: «فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما منَّ به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم؟!» [٥]

فهذا هو فهم علماء الأمة أن يوم مولده صلى الله عليه وآله وسلم نعمة عظمى ينبغي شكرها بمقتضى أدلة الشرع الدالة على شكر النعمة وتعظيمها؛ إبقاء لبركتها، وطلبًا لمزيدها كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]

وإنه لمن المستغرب أن يجادل أحد في مشروعية الاحتفال والفرح بهذا اليوم بعد أن نقل كثير من العلماء اجتماع المسلمين في أعصر متتالية على هذا الاحتفال والفرح بالمولد الشريف على نحو ما قررناه من الفرح والشكر والعبادات المشروعة في كل وقت وهو ما يجعل تمسك المنكرين بأفعال بعض من يحضرون المولد أو الاحتفال فيقع منهم بعض المخالفات نوعًا من الجدل غير السديد لأن الكلام عن أصل المولد وإقرار الشرع له وليس عن ارتكاب بعض المسلمين مخالفات فيه؛ وإلا لمنعنا الحج لوجود من يرتكب بعض المنهيات فيه!

وعلى كل حال فقد أغنانا حبُّنا لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم عن أن نصغى لشبهات بعض العطالين الذين يريدون منع ذكر الله والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وقراءة سيرته والفرح به صلى الله عليه وآله وسلم ببعض الشبهات الواهية.

والمنقول عن أئمة الدين أن الاحتفال به صلى الله عليه وآله وسلم هو الأصل المقرر عند أهل الإسلام؛ بحيث يمكن أن يقال: إن البدعة في الحقيقة هي القول بمنع المولد والنهي عنه وليس العكس .

قال الحافظ السخاوي في الأجوبة المرضية: « ما زال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن العظام يحتفلون في شهر مولده صلى الله عليه وآله وسلم وشرَّف وكرَّم يعملون الولائم البديعة، المشتملة على الأمور البهجة الرفيعة، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات، بل يعتنون بقراءة مولده الكريم، وتظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم، بحيث كان مما جُرب» [٦] اهـ.

ومما يتمسك به المحبون أيضًا ما ذكره

(٤) متفق عليه

(٥) الحاوي للفتاوي للإمام السيوطي ٢٢٩/١ ط.دار الفكر

(٦) الأجوبة المرضية ١١١٦/١، ط. دار الراية

الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه «مورد الصادي في مولد الهادي صلى الله عليه وآله وسلم» -فيما نقله الحافظ السيوطي في «حسن المقصد في عمل المولد» -: «قد صح أن أبا لهب يخفف عنه عذابُ النار في مثل يوم الإثنين؛ لإعتاقه ثويبة؛ سرورًا بميلاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم»، ثم نقل عنه قوله:

إذا كان هذا كافرًا جاء ذَمُّـــــهُ ...
وتبَّتْ يداه في الجحيم مُخَلَّدا

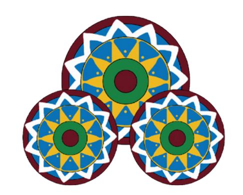
أتى أنه في يوم الاثنـــين دائمًا ...
يخفف عنه للسرور بأحمـدا

فما الظنُّ بالعبد الذي كان عمرَه ...
بأحمدَ مسرورًا ومات موحدًا [٧]

وهذا من أوضح الدلائل على فضل الفرح بحضرته صلى الله عليه وآله وسلم !

وقد نقل الإمام المؤرخ الصالحي في كتابه «سُبُلُ الهُدى والرشاد في سيرة خيرِ العِباد» عن الإمام الشيخ أبي موسى الزّرهونيّ -وكان من الصالحين- أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في منامه، فشكى إليه مَن يقول ببدعية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن فرحِ بنا فَرِحنا به». [٨]

فهذه بعض الشواهد والأدلة التي تشير إلى فضل الاحتفال بهذه المناسبة العظيمة وإن كان المحب لا يحتاج إليها لكنها شاهدة عدل على توفيق الله للمحبين وشاهدة كذلك على إجحاف المنكرين نسأل الله أن يرزقنا دوام المحبة وأن يجعل تلك المحبة شاهدة لنا يوم الدين وأن يشفع فينا حبيبنا ونبينا سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وآله وسلم.



(٧) الحاوي للفتاوي للسيوطي (٢٣٠/١)
(٧) سبل الهدى والرشاد للصالحي ٣٦٣/١، ط. دار الكتب العلمية



عبد العزيز معروف
باحث في التراث الإسلامي

لأولِ مَرة مُذ بدأتُ الكتابة يرتجفُ القلم بينَ يدي، ويصيبُ عقلي حالة من التوقف، ولِمَا لا وقد تجرأتُ وأردتُ أنْ أكتبَ عنْ سيد الخَلقِ محمد الحبيب الشافع المشفع صلوات ربي وتسليماته عليه، فمنْ أنا؟ ولم يُسعفني في هذا إلا حُبي لكَ يَا سيدي يا رسول الله، فبحبكِ أحيا، ويحيا قلمي.

أخرجَ الطبريُّ في تفسير قوله تعَالى «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ» عن سيدنا علي بن أبي طالب، قال: «لم يبعث الله عز وجل نبيًا، آدم فمن بعده، إلا أخذ عليه العهد في محمد: لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه». وهو مروي عن سيدنا عبد الله بن عباس، وعن غيره.

وهذا فضل اختص به الله تعالى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يبعث الله نبيًا إلا ذكر له محمدًا ونعته، وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به، وأن يأخذ الميثاق على قومه بالإيمان به، وهذا لأن من عرف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عرف الحق، ومن عرفه حق المعرفة فسيحبه، ومن أحبه دخل في دائرة المحبة، قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله.

والآية على ما فيها من تعظيم قدر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، تدل على أنه إذا «قُدِّر مجيئه في زمانهم يكون مرسلًا إليهم، فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة ويكون الأنبياء وأممهم كلهم من

أمته ويكون قوله: «بعثت إلى الناس كافة» لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضًا، ويتبين بذلك معنى قوله – صلى الله عليه وسلم – «كنت نبيًا وآدم بين الروح والجسد»».[١]

وكل هذا يدلنا على عظم مكانة وقدر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي يجب علينا لكي ننصره، هو اتباعه ونصرة دينه، وتعريف الناس به، فقد كان خلقه القرآن، وكان قرآنًا يمشي، فهلا تأسينا به.

وإذا كانت أمته هي التي تعلق بها ظهور الحقيقة المحمدية، فما هذا إلا لخصيصة فيها، صلح محلها لأن تظهر فيه هذه الحقيقية، فهي أمة جامعة لخصال الخير متعلقة بحبيبها صلى الله عليه وسلم، ومن هنا لا تكون نصرتها إلا به، وإن تخلفت عنه مالت ووقعت، وإن رجعت إليه صلى الله عليه وسلم استقامت وصلحت، وهذا معنى لتؤمنن به ولتنصرنه، فأخذ الميثاق بيعة، وفيه لام القسم أي: والله لتؤمنن به ولتنصرنه، ومن خالف الميثاق، فقد مال والميل هلاك.

وأيضا في الآية إشارة إلى أن الكتاب والحكمة وكل ما تحصل عند السابقين وإن كان نافعًا، ولكن لا نفع فيه إلا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولذا قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا عمر لما أتى بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم فغضب وقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًا، ما وسعه إلا أن يتبعني».[٢]

وأحب أن أختم هذا المقال بفائدة ذكرها التقي السبكي رضي الله عنه: وهي أنه وإن تأخر جسده، لم تتأخر حقيقته، فكل ما له صلى الله عليه وسلم من جهة الله تعالى ومن جهة تأهل ذاته الشريفة وحقيقته معجل لا تأخر فيه... وأن ذلك التأخر في التكون راجع إلى وجودهم [أي من بعث فيهم] لا إلى عدم اتصافه بما يقتضيه، وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على أهلية الفاعل، فهنا لا توقف من جهة الفاعل، ولا من جهة ذات النبي – صلى الله عليه وسلم – الشريفة، وإنما هي من جهة وجود العصر المشتمل عليهم، فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك....

أما عن بلوغه الأربعين وما يتعلق بالتبليغ، فهذا يتعلق بالمبعوث إليهم وتأهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة إليه ...وتعليق الأحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف, فهاهنا التعليق إنما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث إليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذي يخاطبهم بلسانه, وهذا كما يوكل الأب رجلًا في تزويج ابنته إذا وجدت كفؤا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل أهل للوكالة ووكالته ثابتة، وقد يحصل توقف التصرف على وجود كفؤ ولا يوجد إلا بعد مدة وذلك لا يقدح في صحة الوكالة وأهلية التوكيل.[٣]

(١) انظر: فتاوى السبكي ٣٨/١. والحديث - أخرجه الترمذي في السنن في كتاب المناقب- باب فضل النبي - صلى الله عليه وسلم :(٥/٥٨٥/ ٣٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: يا رسول الله، مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ؟ قَالَ: «وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ »

(٢) أخرجه أحمد في مسنده١٥١٥٦.

(٣) فتاوى السبكي، ٤١/١/ رسالة التعظيم والمنة في قوله تعالى: لتؤمنن به ولتنصرنه.



صلاة المحبة

اللهمّ صلّ على سيدنا محمد بقدر حُبِّك فيه

وزدني فيه يا مولاي حُبّاً فيه وبجاهِهِ عِندَكَ

فَرِّج عنّي ما أنا فيه إلهي لا أسألُك ردَّ القضاء

بل أسألُك اللُّطفَ فيه

وعلى آله وصحبه وسلِّم



الحمد لله حمدا نستفتح به أبواب الرحمات، ونستهدي به إلى طريق الخيرات، حمدا يستغرق العد والحد، وصلاة وسلاما على من أرسله الله رحمة للخلائق، فبه -صلى الله عليه وسلم- نرحم ونطمع في هبوب نسائم الرحمات علينا اليوم وفي أمس وغد.

أما بعد: فيا أحباب النبي المصطفى والرسول المجتبى -صلى الله عليه وآله- ها نحن قد أطل علينا هلال ربيع الأنور الذي أنار الدنيا بظهور خير الخلق وحبيب الحق فيه، وإذا أردنا أن نتحدث عن جنابه الشريف، وقدره المنيف، فإن العبارات تتلاشى، وتجف الأقلام، وتنتهي الأوراق، وما بلغنا في حقه ومقداره إلا أقل القليل، وذلك لأنه حبيب رب العالمين الذي لا يعلم قدره إلا رب العالمين، ولكننا حينما نتعرض للحديث عن حضرته لا نريد بذلك إلا التعرض لنظرته، والدخول في دائرة أهل خدمته -صلى الله عليه وسلم-، وكذلك أيضا اتباعا لسنته ومنهجه في التبليغ عنه، والتذكرة لأهل الإيمان من أمته، فنسأل الله القبول والسداد، وأن يجعل تلك الكلمات من الكاتب والقارئ سببا في إدخال السرور على قلب سيد الخلائق -صلى الله عليه وسلم-.

وها أنا بحول الله وقوته أتعرض للحديث حول: وقفات مع قول الله تعالى: يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، فبادئ ذي بدء أحب أن نستحضر في قلوبنا أن ذلك من كلام الله الذي لو كان ما في الدنيا من البحار والأشجار حبرا وأقلاما وظل الخلق يكتبون ما في أسراره وأنواره من ابتداء الدنيا إلى انتهائها ما نفدت تلكم الأسرار والأنوار، ولكننا نسأل الله أن يرزقنا فهما وتدبرا يفتح لنا به مغاليق القلوب، لنطلع على أسرار علام الغيوب فيما خاطب به حبيبه المحبوب -صلوات الله وسلامه عليه- فهيا بنا لنطوف بالأرواح والقلوب حول تلك الآية الكريمة، والمتأمل في هذه الأوصاف يجد أنها كما جاء في الصحيح من الأوصاف التي وصف بها -صلى الله عليه وسلم- من قبلُ في

التوراة، فانظر إلى الحديث الذي أخرجه البخاري: «عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»، فها هي أوصافه التي جاءت في التوراة كما جاءت في القرآن، فتأملوا الخطاب من الله سبحانه وتعالى لنبيه وهو يقول: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}، وانظر في كتاب الله وسنة حبيبه ومصطفاه بعين المتدبر الفطن، وقف مع تلك الآيات؛ لتعلم وتتعلم، وتحظى من خزائن أسرار الله المودعة في كتابه، فإذا سمعت قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا، تعلم بأنه -صلى الله عليه وآله- شهيدا وشاهدا علينا، فإذا علمت ذلك ينبغي عليك أن تستحي منه -صلى الله عليه وسلم- فلا تجعله يرى منك ما لا يحب أن يراه، وتعلم أيضا بأنه فينا كما قال رب العزة -جل جلاله-: وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ، والقرآن كلام الله حكمه باق، ولننظر في قوله -صلى الله عليه وسلم-: «حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَنُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمِدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ»، ومن المعلوم أن الشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصر أو بصيرة، فإذا استحضرت تلك المعاني صار لك حالا مع الله ورسوله في المراقبة والمحاسبة لنفسك.

هذا ولنتأمل في قوله: وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، فتجد أن البشرى للمؤمنين أعظم بشرى هي محبته -صلوات الله وسلامه عليه-؛ إذ أن محبته دافع الاتباع، وثمرتها: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»، فتحقق تلكم البشرى، فعسى الله أن يجمعنا بها مع حضرته يوم القيامة، ثم تنظر في قوله -عز من قائل-: وَنَذِيرًا، فتحترز من كل ما أنذر منه -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنه إنما يبشرك بالجنة، وينذرك من النار وما يقرب إليها من قول وعمل، والمؤمن لا يكون حاله مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا سمعنا وأطعنا، رزقنا الله وإياكم التوفيق لما يحب ويرضى.

ثم للنظر في قوله تعالى: وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، ونتأمل كونه -صلى الله عليه وآله- يدعونا إلى الله عن إذن منه سبحانه، ونفتش في أنفسنا عن مدى استجابتنا لتلك الدعوة، ولذلك الداعي -صلى الله عليه وسلم-، وهنا إشارة لطيفة ينبغي لكل داع إلى الله الوقوف عندها إذ أنه -صلوات الله وسلامه عليه- إمام الدعاة وقدوتهم، حيث نجد أن خليل الرحمن دعى ربه سبحانه قائلا: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، فبعث الله نبيه ومصطفاه على هذا

النحو حيث قال -عز من قائل-: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. وهنا الملمح والإشارة، حيث أجاب الله دعوة خليله لكن على النحو الذي ينبغي للمتأمل أن يتنبه له، وهو أن خليل الرحمن طلب من الله أن يبعث رسولا منهم يتلو عليهم الآيات ويعلمهم الكتاب والحكمة ثم يزكيهم، فكانت إجابة المولى سبحانه أن بعث فيهم رسولا منهم داعيا إليه سبحانه يتلو عليهم الآيات ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، فكأن الله يقول لنا نعم لقد أجبت دعوة إبراهيم في إرسال وبعث رسول من هؤلاء العرب داعيا لهم إليَّ ولكن على نحو من الترتيب غير الذي طلبه إبراهيم، فهو سبحانه الأعلم بما يصلح عباده، فكانت دعوة المصطفى -صلى الله عليه وآله- بتلاوة الآيات لتزكية الأنفس قبل تعليم الكتاب والحكمة، فلا تحلي قبل التخلي، والناظر في سنته يعلم ذلك، أما سمعنا قوله -صلى الله عليه وسلم- حيث يقول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، فيا أيها الداعي إلى الله اعلم أن هذا هو منهج سيد الدعاة إلى الله، ونحن مأمورون باتباعه واقتفاء أثره، فانظر إلى قوله تعالى: قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي، فتحقق أيها الداعي بذلك المنهج القويم والطريق المستقيم في الدعوة إلى رب العالمين على أثر إمام المرسلين ورحمة الله للعالمين، حتى يكون لدعوتك أثر ونفع عميم، -وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين-.

ثم هيا لننظر ونتدبر في قوله تعالى: وَسِرَاجًا مُنِيرًا، لنعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل حبيبه نورا يهتدي به الناس من ظلمات الجهل والحيرة والغفلة، وهو النور الواضح المبين الذي من اهتدى به هدي، قال -عز من قائل-: قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، فهو -صلى الله عليه وسلم- النور الذي جاءنا لنهتدي به ونزيل الظلام، فإذا كان الله قد جعل الشمس سراجا، وجعل القمر منيرا، فإن المصطفى -صلى الله عليه وسلم- هو السراج المنير الذي أضاءت الدنيا بطلعته، وانمحت الظلمة ببعثته، فهدى الله به من اتبع رضوانه سبل السلام.

وهذا ما قد جاد الله به على الفقير في الحديث عن جنابه الشريف بالوقوف مع قول ربنا -عز وجل- في حقه: يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، وأختم هذه المقالة بأبيات للشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي -رضي الله عنه- في مدحه -صلى الله عليه وسلم- حيث قال:

يا مرسلا بمعالم الفرقان
ومؤيدا بطواسم القرآن

أنت المقدم ليس فوقك رتبة
أنت المؤخر ليس بعدك ثان

أنت الذي جمع العلوم حدي
ثها وقديمها بالوهب والبرهان

أنت النبي محمد علم الهدى
السيد المختار من عدنان

لولاك ما ظهر الوجود ولا
سمت أرواحنا نحو القصي الدان

ولما رأت أبصارنا وقلوبنا
ما يرتقي عن رتبة الأذهان

والحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلاما على سيد الأولين والآخرين.

١٤ أريج الذكرى عبر الأزمان ...
وأثير المولد في كل مكان

أسامة مُحسن

سيدي يا رسول الله تشرق شمس شهر ربيع الأول الأنور في كل عام ليتشرف ذلك العام بأن ينال شرف حمل عطر اسمك الطاهر بين طيَّاته، ويشعُّ سنا نورك الباهر فينتقل من محل المولد بمكة المكرمة- زاد الله شرفها- فينتشر في المشارق والمغارب كما وصفتْ أمك السيدة الطاهرة آمنة بنت وهب لما كشف الله عن بصرها فرأت حين وضعتك نورًا خرج منها حتى رأت قصور بصرى من أرض الشام وهي بمكة المكرمة ثم رأت ثلاثة أعلام مضروبات علمًا بالمشرق وعلمًا بالمغرب وعلمًا على ظهر الكعبة حتى عمَّ ذكرك الشريف كل زمان وفاح عبير عطرك في كل مكان فما من زمان ولا مكان إلا وله نصيب منك يا من جعلك الله رحمة للأكوان ....

إن تجدد ذكرى ميلاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والاحتفال بمولده الكريم في كل زمان ومكان يلفت الانتباه ويشير بكل بنان إلى عالميته صلى الله عليه وآله وسلم التي حققها به مولاه فقال تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) والناظر بيعن التدقيق يجد أن عالميته صلى الله عليه وآله وسلم تقتضي عدم خصوصيته بزمان معين ولا بمكان معين ولا بقوم معينين فهو صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن نبيًا مخصوصًا لقومٍ مخصوصين في زمانٍ مخصوصٍ وإن كان مولاه بحكمته البالغة فوق عقول العقلاء قضى أن يجعل له ظهورًا خاصًا ببشريته في زمن خاص - من مولده إلى وفاته- وفي مكان معين - مكة المكرمة ثم المدينة المنورة- فإن ذلك كما علمنا شيوخنا الأكابر الأكارم لما ركب الله في هذا الزمان وذلك المكان وفي تلكم الاشخاص من تحمل ما يظهر من نوره الشريف وبما خصصهم الله من شرف الصحبة لهذا النبي الكريم.

أما هو صلى الله عليه وآله وسلم فقد استوعب كل زمان ومكان وكل الأشخاص فقد أغناه مولاه برفع ذكره الشريف (ورفعنا لك ذكرك) فلا خافض لما رفع الله وليس بعد رفع الذكر من الله رفع، واقتضت تلك الرفعة أن يكون مرفوع الذكر في كل زمان ومكان، ويظهر أثر رفع الله ذكره صلى الله عليه وآله وسلم في جعله صلى الله عليه وآله وسلم أولًا وآخرًا وفاتحًا وخاتمًا وجعل ذكره باقيًا عبر كل الأزمنة وفي كل الأمكنة بل قبل خلق الزمان وقبل خلق المكان وهذا يظهر جليًا لمن أمعن النظر في

السنة النبوية المطهرة أليس هو صلى الله عليه وآله وسلم أول ما خلق الله وهو القبضة النورانية الأولى التي خاطبها الحق بقوله كوني محمدًا فكانت، أليس هو من أخذ الله من أنبيائه الميثاق على نصرته والإيمان به قبل خلقهم، أليس هو من أخبرنا بوجوده قبل وجود سيدنا آدم على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام فقال (كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين) وفي رواية (وإن آدم لمنجدل في طينته)، أليس هو صلى الله عليه وسلم من توسل به سيدنا آدم فقبل الله توبته ألم يكن هو وصية سيدنا آدم إلى ولده ومن ولده إلى ولده جيًلا بعد جيل، أليس ذكره صلى الله عليه وآله وسلم ووصفه الخَلقي والخُلقي كان منشورًا ومنثورًا في الكتب السماوية السابقة في التوراة والأنجيل، أليس هو وصية الأنبياء إلى أقوامهم وأنهم إن أدركوا زمنه صلى الله عليه وآله وسلم آمنوا به واتبعوه أليس هو صلى الله عليه وآله وسلم دعوة أبيه سيدنا إبراهيم وبشارة سيدنا عيسى بن مريم ألم يكن بدرًا منيرًا يشرق نوره في جبهة آبائه وأجداده ألم يكن هو شِقُّ الشهادة فلا يقبل إيمان عبد من العباد إلا إذا شهد بنبوته وأقرَّ به، أليس بذكره يطرب المؤذنون في كل أذان للصلاة وفي كل إقامة، أليس ذكره يجري على لسان المصلين في التشهد الثاني في صلاتهم فرضهم ونفلهم، أليس ذكره ينتشر في بقاع الأرض جميعًا على لسان من أحبه وأبغضه وعلى لسان من آمن به ومن كفر به وسيظل ذكره باقيًا ببقاء تلك الحياة ولم يكن رفع ذكره صلى الله عليه وآله وسلم يقف عند هذا الحد فحسب وإنما رفع الله ذكره فانتشر في عالم البرزخ وفي الآخرة كما انتشر في عالم الدنيا فما من نفسٍ وإلا تسأل عنه صلى الله عليه وآله وسلم في القبور،وهو ملجأ الخلق يوم البعث والنشور, وفي يده لواء الحمد ومن يده الشريفة شربة ليس لها في الري حد.

فنفهم من ذلك أن تجدد ذكرى الميلاد ليس إحياءً منا لميلاده الشريف ولا لسيرته العطرة كما يظن البعض وإنما إحياءً لقلوبنا بما يشع من أنواره التي تملأ الأكوان وتحيط بكل زمان فتُجدد فينا وتُحيي في قلوبنا ذكره الشريف فتُحيا قلوبنا ويُروى بذكره ظمأ أرواحنا - ألا إن تذكار الأحبة ينعشنا- فتمر هذه الذكرى العطرة على قلوب العباد وتفوح أعطار شهر ربيع الأول عليهم فتُحيي قلوبًا بعد موتها (أو من كان ميتًا فأحييناه) وتأخذ بيد قلوب قد أتعبها الجهد في هذه الحياة, فتكون لهم كالراحة بعد التعب، وتنير دروب السائرين التي أظلمت فيسيرون في نورٍ وأمان، وتداوي قلوب المحبين الذين أتعبهم الشوق وأجهدهم فتسكن قلوبهم وتروي عطشى القلوب بكثرة ذكر الحبيب المحبوب صلى الله عليه وآله وسلّم .

وسيظل نوره مشرقًا وساطعًا في كل زمان ومكان فيحصل بذلك الأمان ... فنحن والسابقون واللاحقون في عنايته وتحت رعايته، وسيظل نوره مشرقًا إلى الأبد هاديًا للخلق في سيرهم وطريقهم إلى الحق سبحانه وتعالى مهما أراد الحاقدون والكارهون والجاهلون من أمته بجهلهم إطفاء نوره الشريف والله متم نوره ولو كره الكافرون.

فاللهّم صلِّ وسلِّم على من رفعتَ ذكره ونشرتَ بين العالمين اسمه.



١٥

وُلِدَ الحبيب الهاشميّ

شعر

أحمد مُحسن عبدالله

بَعْدَ اعْتِكَارِ الماءِ حلَّ نقاءُ
قُشِعَ الغمامُ وفي السماءِ صفاءُ

بُشْرَى لكل العالمين وسعدَهم
قد حلَّ ضيفٌ باسمٌ وضاءُ

وُلِدَ النبيُ الهاشميُ المصطفى
ولد الحبيبُ وبُدِّدَ الإجْفَاءُ

في عالمِ الجبروتِ سُمِّيَ أحمدَ
بَعدَ المحَامِدِ قد أتاه ثَناءُ

في الغَيْبِ كَنَّاهُ الإلهُ بقَاسِمٍ
فَبِهِ يُقَسَّمُ للعِبَادِ عَطَاءُ

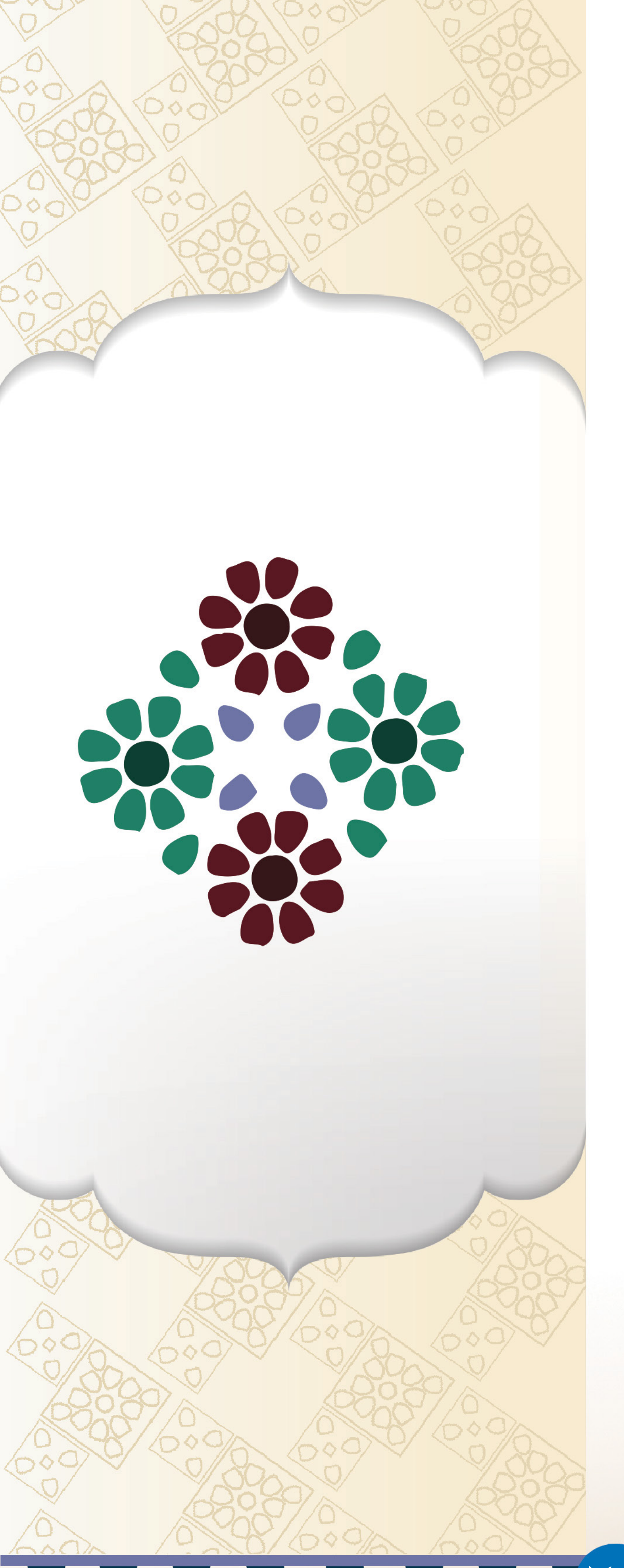
ومحمدٌ بعدَ اكتمالِ ظُهورِهِ
عِنْدَ الشهادة فَرْحَةٌ ورَخَاءُ

سَبَبُ الوجودِ ورُوحُهُ لَوْلاهُ ما
سَجدُوا لآدمَ أو أتَتْ حَوَّاءُ

بَدْءِ الخَلِيقَةِ كانَ نُورُكَ سَيِّدِي
مِن بَعْدِ نُورِكَ جَاءتِ الأشْيَاءُ

يا خيرَ خلقِ اللهِ أنتَ المجْتبَى
في خيرِ طائفةٍ فأنتَ بَرَاءُ

يا طَاهِرَ الأبَوَيْنِ في إطلاقِهِمْ
أكْرِمْ بأصلِكَ كُلُّهُمُ حُنَفَاءُ



يا زَاكِيَ الأبناءِ آلُكَ نبْتَةٌ

أنتَ الضِّيَاءُ لها وأنتَ الماءُ

يا أعظمَ الرُّسْلِ الكِرَامِ شَمَائلًا

أنتَ الإمامُ ومِن ورَائِكَ جَاؤوا

فيكَ الكَمالُ كذا الجَمالُ مُغَلَّفٌ

بجَلالَةٍ يَهْوِي لها العُظَمَاءُ

أنتَ الشَّفِيعُ وكُلُّنا لكَ ناظِرٌ

ويَقِينُنَا ألَّنْ يَخِيبَ رَجَاءُ

صَلَّى عليكَ اللهُ يا خيرَ الوَرَى

ما جَنَّ لَيْلٌ أو أنَارَ ضِيَاءُ

اعتِكَار: تَكَدُّر

قُشِعَ: أُزِيلَ.

الإجفاء: الإبعاد.

الغيب: عالم الغيب.

الشهادة: عالم الشهادة.

برَاءُ: مُبرأٌ من كل العيوب والتهم.

حنفاء: موحدون.

يهوي: يخضع ويسقط.

ناظرٌ: مُنتظِرٌ



١٦ نبذات عن تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي الشريف



مؤمن محمد

الحمد لله الذي أنار الوجود بطلعة خير البرية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وبعد...

الأعياد والمناسبات الدينية ليست كما يظن البعض مجرد مظاهر احتفالية شكلية لا أكثر, وإنما هي تحمل إرثًا ثقافيًا وتاريخيًا, وبطبيعة الحال لم يكن المولد النبوي الشريف استثناء, والملاحظ أن هذا اليوم احتل مكانة في الوجدان الإسلامي تتناسب ومكان صاحب الذكرى صلى الله عليه وسلم؛ فلم تكن عناية المسلمين بهذا اليوم ثانوية, فقد بلغ من عناية المسلمين بهذا اليوم ظهور نوع من الكتابات يسمي بقصص المولد أو التآليف المولدية(١) هذا بخلاف المدائح النبوية التي كان يوم المولد من أبرز أغراضها غير أن هناك مجموعة من الأسئلة تفرض نفسها: متى بدأ الاحتفال بالمولد الشريف؟ ولماذا كان هذا الاحتفال من الأساس؟ وماذا عن المظاهر التي صاحبت هذا الاحتفال؟

تحدثنا المصادر التاريخية أن بدايات الاحتفال الرسمي بالمولد النبوي الشريف في المشرق الإسلامي تعود للعصر الفاطمي وعلى وجه الدقة في المرحلة (المصري) (٢) وفي هذه الفترة رصدت المصادر التاريخية لأول مرة احتفالًا رسميًا بالمولد الشريف وهو الاحتفال الذي قامت به الدولة الفاطمية في مصر.

وذكر ابن قاضي شهبة في كتابه الكواكب الدرية في السيرة النورية في معرض حديثه عن أحد صوفية الموصل وهو الملا عمر (أنه كان يعمل مولدًا لرسول صلي الله عليه وسلم في كل سنة ويحضر دعوته صاحب الموصل والأكابر)(٣) والأمر نفسه يؤكده أبو شامة المقدسي في كتابه الباعث على إنكار البدع والحوادث وذلك أثناء حديثه عن البدع المستحبة ومنها المولد النبوي الشريف الذى هو أحسن ما ابتدع في زماننا هذا علي حد تعبير المؤلف, وكان أول من فعل ذلك بالموصل الشيخ عمر بن محمد الملا أحد الصالحين المشهورين وبه اقتدى في ذلك صاحب إربل وغيره رحمهم الله تعالى(٤).

وأيضًا من ضمن الإشارات التي تمدنا بها المصادر التاريخية عن بدايات الاحتفال الرسمي بالمولد الشريف الاحتفال الذي كان يقيمه مظفر الدين كوكبري حاكم إربل وكان بالغ الفخامة, حتى أن أحد العلماء وهو ابن دحية ألف له كتابًا في المولد الشريف سمي: التنوير في مولد السراج المنير(٥).

وبالنسبة لبلاد الحجاز في الفترة الأيوبية

يتحدث ابن جبير في رحلته عن احتفال أهل مكة بالمولد النبوي الشريف وتبرك الناس يوم المولد النبوي بالآثار النبوية ومكان ولادته صلى الله عليه وسلم.

«ويفتح هذا الموضع المبارك -مكان ولادته الشريفة- ويدخله الناس كافة متبركين به في شهر ربيع الأول ويوم الإثنين لأنه كان شهر مولد النبي صلى الله عليه وسلم وفي اليوم المذكور مولده صلى الله عليه وسلم وتفتح المواضع المقدسة المذكورة وهو يوم مشهود بمكة دائمًا»(٦)

وهذه الرواية لا بد من أن ابن جبير قد سمعها من أهل مكة لا سيما وهو لم يزر مكة في شهر ربيع الأول

وفيما يتعلق بالغرب الإسلامي فيعود الفضل لأسرة العزفي في تبني الدولة الاحتفال الرسمي بالمولد النبوي الشريف فقد دعا الفقيه أبو القاسم العزفي الدولة والناس للاحتفال بالمولد وصنف كتابًا سماه (الدر المنظم في مولد النبي المعظم) ولكنه مات قبل إكماله ليكمله من بعده ابنه أبو القاسم وتشاء المقادير أن يصل أبو القاسم هذا لحكم سبتة فيحتفل بالمولد الشريف كما كان يريد أبوه وذلك سنه ٦٤٨هـ ولم يكتف أبو القاسم بهذا بل كان سببًا في نقل الاحتفال لمراكش بعد إرساله كتابًا للخليفة الموحدي عمر المرتضى يحثه فيه على الاحتفال بالمولد.

واستمرت الأسرة العزفية في نقل الاحتفال إلى باقي أرجاء المغرب حتى أن أبو طالب العزفي بن أبي القاسم- حفيد أبي العباس- شجع حكام الدولة المرينية في فاس يعقوب بن عبد الحق وولده يوسف على الاحتفال بالمولد الشريف وبالفعل احتفل يوسف بن يعقوب بالمولد سنة٦٩١هـ(٧)

وذكر ابن خلدون أن سلطان غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس كان يحتفل بالمولد الشريف ويصنع فيه الولائم (وكان يحتفل بالصنيع فيها والدعوة وإنشاد الشعراء اقتداء بملوك المغرب)(٨)وألقى ابن خلدون نفسه قصيدة في هذا الاحتفال وذلك سنه ٧٦٤هـ.

خلاصة القول أنه بالنسبة للمشرق الإسلامي فالاحتفال الرسمي بالمولد كان في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وهو أول ما سجلته لنا المصادر التاريخية بينما تأخر في المغرب الإسلامي للقرن السابع.

لكن هل وجدت احتفالات شعبية بالمولد الشريف قبل النصف الثاني من القرن الرابع الهجري؟

بالرغم من عدم تسجيل المصادر التاريخية ذلك, لكننا نستطيع أن نرجح وجود احتفالات شعبية على نطاق ضيق قبل هذا التاريخ.

فوفقًا لما سجله ابن جبير عن المولد النبوي الشريف فإن أهل مكة يهتمون بالآثار النبوية وقطعًا لم يكن هذا الاهتمام مستجدًا لا سيما مع تضييق الدولة الأيوبية على مظاهر الاحتفال المرتبطة بالدولة الفاطمية فعلى ذلك يكون الاحتفال طبيعة وسجية لأهل مكة ومما يقوي هذا الظن أن ابن أبي عاصم من أهل القرن الثالث الهجري قد ألف في المولد النبوي الشريف كما ذكر ذلك الشيخ محمد عبد الحي الكتاني(٩)

ولكن ظهور الاحتفال الرسمي بالمولد النبوي الشريف كانت له دوافع شتى فلم يكن الأمر يقتصر على مجرد المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم، فبالنسبة للدولة الفاطمية كان احتفالها بالمولد النبوي محاولة منها للتقرب واستمالة شعب غالبيته العظمى من أهل السنة ولكن على الرغم من بذخ ورفاهية احتفالات الدولة الفاطمية وسرور الشعب المصري بهذه الاحتفالات والزينة لكنها فشلت كوسيلة للتقرب والجذب المذهبي وظل المولد تعبيرًا عن محبة المصريين للنبي صلى الله عليه وسلم بعد تخليصه من التأثيرات المذهبية.

وعن الملا عمر فالأمر واضح لا سيما وأن الرجل صوفي وغير خافٍ اهتمام الصوفية بما يتعلق بالجناب النبوي على مدار التاريخ ومن هذا المنطلق يمكن تفسير الاحتفال الذي أقامه كوكبري حاكم إربل.

ولكن في المغرب الإسلامي كان الأمر مختلفًا فالداعي لعمل المولد الشريف كان سببًا دينيًا واجتماعيًا فقد لاحظ العزفي اهتمام أهل المغرب والأندلس بالأعياد المسيحية فرغب في حملهم على الاهتمام بالأعياد الإسلامية بدلًا من ذلك وحاول مع الصبية الصغار في المكاتب وكان العزفي قد تحدث في كتابه عن مسألة هل معرفة المولد الشريف فرض عين أم فرض كفاية؟ (١٠) وقد مر بنا مجهود هذه الأسرة في الاحتفال بالمولد النبوي, إذن فالمولد الشريف ليس مجرد مظاهر احتفالية فارغة المضمون إنما هي ظاهرة تاريخية تحمل ظروفًا وأسبابًا متنوعة.

والمطالع لكتب التاريخ يجد أنها تعرضت لرصد المظاهر الاحتفالية المصاحبة للمولد النبوي الشريف وهذه الاحتفالات كانت من الأهمية بمكان عند الناس حتى أنه كان يوجد احتفالات في الشام عصر الحروب الصليبية(١١) على الرغم من أن بلاد الشام كانت المسرح الرئيسي للصراع بين المسلمين والصليبيين وعلى الرغم من الضعف الحضاري والسياسي الذي أصاب المسلمين فيما بعد لكن احتفالات المولد الشريف لم تفقد بريقها أو الاهتمام بها ويبدو ذلك أمرًا طبيعيًا فالإنسان عادة إذا نزلت به نازلة يتجه للدين كنوع من أنواع الحماية والتعويض وهذا ما فعله المجتمع في احتفالات المولد في بعض الفترات فلم تكن تعبر فقط عن حب النبي صلى الله عليه وسلم وإنما كانت أيضًا تجسيدًا وتعبيرًا عن حاجة الناس للشعور بالحماية والأمان وهو الأمر الذي وجدوه في شخص النبي صلى الله عليه وسلم باعتبار أنه ملاذ وملجأ في الشدائد.

وبالنسبة للتفاصيل الاحتفالية ففي العصر الفاطمي كان الاحتفال مشهودًا وفقراء الشعب المصري ينالون نصيبًا وافرًا من الصدقات والأطعمة التي كانت تقوم دار الفطرة الفاطمية بتوزيعها على الفقراء ويتم توزيع الحلوى أيضا على كبار رجال الدولة بالترتيب قاضي القضاة ثم داعي الدعاة ثم قراء القصر وشيوخ التدريس في الجوامع ثم خدام الأضرحة والمشاهد(١٢) ويصف المقريزي الاحتفال الخاص برجال الدولة في هذا اليوم وطقوسه.

فكانت المراسم تبدأ بتوزيع الطعام على كبار رجال الدولة ثم صلاة الظهر ثم يتجه قاضي القضاة بعد ذلك لحضور ختمة القرآن الكريم في الأزهر وبعد الختمة يتحرك هو ومن معه إلى قصر الخليفة فيطل الخليفة على قاضي القضاة والحاضرين من إحدى الشرفات ليبدأ بذلك الاحتفال بعد أن يتم ذكر مراتب الحضور وألقابهم ثم يبدأ قراء القرآن الكريم بالتلاوة ثم إلقاء الخطب بالتتابع خطيب جامع الحاكم ثم خطيب الجامع الأزهر فخطيب الجامع الأقمر ثم ينتهي الاحتفال بعد تلقي الإشارة من أحد رجال الخليفة(١٣).

وبالنسبة لعصر سلاطين المماليك فقد شهد هذا العصر احتفالات تتفق وعظمة دولة المماليك, والمصادر تتحدث عن خيمة المولد النبوي التي صنعها السلطان قايتباي وما كان يفعله سلاطين المماليك في الاحتفالات المختلفة، ولكن اللافت للنظر استمرار هذه الاحتفالات بنفس البذخ والترف حتى نهاية العصر المملوكي فيتحدث ابن إياس الحنفي عن آخر احتفالات المماليك بالمولد النبوي سنه ٩٢٢هـ/١٥١٦م، وهي السنة التي قتل فيها السلطان قنصوة الغوري أثناء الحرب مع العثمانيين, وجدير بالذكر أن هذه الاحتفالات كانت وشبح الحرب يخيم على الدولة, فقد سافر السلطان في الشهر التالي مباشرة لبلاد الشام للقاء السلطان سليم الأول العثماني.

ويتحدث ابن إياس عن خيمة المولد النبوي الشريف وهي خيمة أشبه بالقاعة ومن فرط ضخامتها تحتاج ثلاثمائة رجل لنصبها, ويجلس فيها السلطان والقضاة الأربعة والأمراء وكبار رجال الدولة والوعاظ ويحضر فيها الطعام والشراب» ثم مد السلطان السماط الحافل وأوسع في أمره وكان ذلك اليوم مشهودًا وأبهج مما تقدم من الموالد الماضية»(١٤)

ولعل الغوري أراد من هذه الاحتفالات المبالغ فيها إشعار سليم الأول العثماني بقوته وقوة دولته.

وبالنسبة لاحتفالات عامة الشعب في هذا العصر فكانت تجري إما داخل البيوت أو في ساحات أمامها ويقوم صاحب الدار بدعوة أحد القراء المشهورين والمنشدين لإحياء الحفل الذي يبدأ بالتلاوة وبعد ذلك الإنشاد ثم حلقات الذكر، وكان بعضهم يكتفي بقراءة القرآن الكريم وحلقات الذكر لأنه يتحرج من الإنشاد والموسيقى المصاحبة له، ومن الأمور الطريفة في هذا الصدد كان بعضهم يحتفل بالمولد بهدف استرداد النقود والهدايا لأن عادة الناس في هذه الفترة رد النقود والهدايا المتبادلة بينهم في هذه الاحتفالات(١٥).

في العصر العثماني أصبح المولد النبوي الشريف احتفالًا شعبي الطابع نتيجة لاضطراب الأحوال السياسية وتسارع وتيرة تغير الولاة في مصر العثمانية وأدي ذلك الى نمو دور الطرق الصوفية وتولي الطريقة البكرية مهمة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ونصوص الجبرتي في تاريخه وخصوصًا سنتي ١٢١٣ و١٢١٤(١٦) تشيران إلى أنه أصبح من المتعارف عليه آنذاك أن

الاحتفال بالمولد النبوي الشريف هو مهمة شيخ السادة البكرية (١٧) وظل الوضع كذلك طوال العصر العثماني حتى في عهد أسرة محمد علي.

وفيما بعد انتقلت مسئولية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف لمشيخة الطرق الصوفية تحت إشراف الدولة لا سيما بعد ثورة ٢٣ يوليو ليصبح الاحتفال الشعبي والصوفي هو نفسه الاحتفال الرسمي الذي تتبناه الدولة.

وفي الوقت الحالي أصبح الاحتفال عبارة عن موكب للطرق الصوفية يبدأ بمسجد الشيخ صالح الجعفري وينتهي بالوصول إلي مسجد الإمام الحسين وفي مسجد الإمام الحسين يلقي بعض العلماء محاضرات وخطب قصيرة لكن الجدير بالذكر أن بعض الطرق الصوفية تقوم بتنظيم مواكب احتفالية خاصة بها داخل القرى والمدن المختلفة وتستمر طوال شهر ربيع الأول بصورة أسبوعية بعد صلاة الجمعة وبعض الطرق كالطريقة البرهانية على سبيل المثال تحتفل بالمولد بداية من آخر شهر صفر لتنتهي المواكب عادة مع آخر صلاة جمعة في شهر ربيع الآخر، ويقيم بعض الناس احتفالات في المنازل عن طريق إحضار قراء القرآن الكريم وبعض المنشدين ويقومون بتوزيع الحلوى ويقوم آخرون بالاقتصار على التلاوة أو عمل الختمة ثم درس يلقيه أحد المشايخ.

ومن الجدير بالذكر أن الإنشاد والحلوى والمواكب هي عادات متوارثة من العصرين الفاطمي والمملوكي وربما وجدت أشياء قليلة من العثماني الذي هو أقل العصور تأثيرًا في مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

إذن فالاحتفال بالمولد النبوي الشريف له جذور تاريخية ودينية وفلكلورية وهو موضوع يحتاج لدراسة شاملة من حيث الجذور والتأثيرات وليس فقط تناول الجانب الديني والمكتبة العربية تحتاج لكتاب يغطي هذا الموضوع.

و في نهاية المطاف لا أجد ختامًا مناسبًا لكل ما سبق خيرًا من بيت شعر لأحد الصالحين

مولد النور والسرور تجلى
كاشف الغم نتخذه وكيلًا

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأنصاره وسلم.

الهوامش:

١-التآليف المولدية أو قصص المولد الشريف هي منظومات شعرية أو كتابات نثرية أو مزيج بينهما كانت تكتب من أجل أن تقرأ في المولد الشريف, وتتناول ميلاده صلى الله عليه وسلم والإرهاصات المصاحبة لهذا الميلاد وشيئًا من شمائله الشريفة ونسبه الطاهر وأحيانا تتناول السيرة كلها باقتضاب شديد وللمزيد انظر: (الشيخ عبد الحي الكتاني، التآليف المولدية، مقالات نشرت بمجلة الزيتونة،١٩٣٧هـ).

٢-مرت الدولة الفاطمية تاريخياً بمرحلتين المرحلة المغربية(٢٩٦-٣٦٥هـ) (٩٠٩-٩٧٥م) والمرحلة المصرية تبدأ بوصول جوهر الصقلي

مصر(٣٥٨-٥٦٧هـ) (٩٦٩-١١٦٧م)

وعن المرحلة المغربية انظر: (فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية في المغرب، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٩٤م).

وعن المرحلة المصرية انظر: (أيمن فؤاد سيد، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،٢٠١٦م)

٣-ابن قاضي شهبة، الكواكب الدرية في السيرة النورية, سيرة نور الدين محمود، تحقيق:محمود زايد، دار الكتاب الجديد،بيروت، ١٩٧١،ص٣٦.

٤-أبو شامة المقدسي، الباعث علي إنكار البدع والحوادث، مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٩٨١،ص٢١.

٥-ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٧،تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي ،دار هجر،١٩٩٨،ص٢٠٤ ص٢٠٤.

٦-ابن جبير الأندلسي، رحلة ابن جبير تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار،دار صادر، بيروت، د.ت،٩٢,٩١.

٧-محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب، الرباط، ٢٠٠م، ص٥٢٤-٥٤٠ ويقدم الدكتور محمد المنوني معالجة ممتازة لقضية المولد النبوي الشريف في الغرب الإسلامي

٨-ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٩،ص٨٩

٩- الشيخ الكتاني، التآليف المولدية،ص١١.

١٠-السابق، ص٧٧.

١١-أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٢٤١

١٢-تقي الدين المقريزي، خطط المقريزي المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المجلد الثاني، تحقيق:د.أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،لندن، ٢٠٠٤م،ص٤٢٤.

١٣-السابق،ص٤٢٤-٤٢٥.

١٤-ابن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٥،تحقيق: محمد مصطفى، دار الباز، مكة، د.ت، ص٢٥.

١٥-قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية،٢٠١٢م، ص٢٩٥.

١٦-عبد الرحمن الجبرتي، تاريخ الجبرتي (عجائب الأثار في التراجم والأخبار)، ج٣، تحقيق:عبد الرحيم عبد الرحمن، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٩٩٨م، صفحات ٢٤-٢٥ وأيضا ص١٣٢.

١٧-الطريقة البكرية من أشهر الطرق الصوفية وأقواها نفوذًا في تاريخ مصر الحديث للمزيد عنهم انظر: (أحمد عبد النبي فرغل، السلالة البكرية الصديقية التاريخ والأنساب والمشاهير، جزئين، مؤسسة الأمة العربية،القاهرة، ٢٠١٤.

١٧

لم يخلق الخلّاقُ جلَّ جلالُه ... كالمصطفى، بالجود هلَّ هلالُه

مَجْلَى كمالاتِ الإله قد انجلَتْ ... وجماله وكمالُه وجلالُه

في ذاتِ أحمدَ خيرِ مَن وَطِئَ الثرى ... نورِ الورى، فوق الذُّرَى أحوالُه

أخلاقه سحبٌ همَتْ، وإذا سقت ... نفسًا شفت، وعلى الكمال خصالُه

سمت السماءُ إذ امتطاها المصطفى ... وعلَتْ على السبع الطباق نعالُه

هو نور عرش الله، أعظم خلقه ... عرشًا وفرشًا، لا يُحَدُّ كمالُه

إذ لا يزال على الدوام رُقِيُّه ... في كل طارفةٍ يُضاعَف حالُه

إنسانُ عينِ الكائنات محمدٌ ... عجزت أمانيُّ المديح تطالُه

مددُ الهدى، بحرُ الندى، دحْرُ العدا ... قمرٌ غدا يمحو الظلامَ مجالُه

قطبُ الرحى، شمسُ الضحى، نورٌ محا ... بضيائه الكفرَ الشديدَ ضلالُه

باب الرجا، سبب النجا، بدر الدجى ... نور الحِجَا، نعم الرجالُ رجالُه

والمُلْتَجَى لمن ارتجا، مهما سجا ... ليلُ الدجى والخطبُ جا كلكالُه

مِن نوره خُلِق الخليقةُ مبدءًا ... وعلى سَنام المكرُمات فِعالُه

خُلِقت حقيقتُه وآدمُ لم يزل ... في الطين منجدلًا به تمثالُه

ولدى اكتمال النفخ خرَّت سُجَّدًا ... ملأُ الملائكِ إذ أضاء جمالُه

في وجه آدمَ، ثم لمّا أن دعا ... كان الشفيعَ له ليُقبل قالُه

لولاه لم يُخلَقْ ولا كونٌ بدا ... وبصخرة الكونين زان مآلُه

فلأجله خُلِقَ الوجودُ جميعُه ... ولذا فنحن ضيوفُه وعيالُه

أكرم بمضيافٍ به نزل الورى ... قد جَلَّ معناه وعزَّ مثالُه

نورُ العيون ومنتهى أمل الورى ... تاجُ الرؤوس، جوامعٌ أقوالُه

يا مصطفى كلُّ الخليقة ترتجي … منه الشفاعة، والوجودُ نواله

ولك الوسيلة والفضيلة: دعوةً … وحقيقةً، والمجدُ أنت كماله

يا منتهى الغايات هل من نجدةٍ … للنيل يُنصَر إثرَها أبطالُه

فتظل مصر حمى الأمان بجيشها … حصنًا منيعًا أُحكِمَتْ أقفالُه

هم خير أجناد البسيطة مثلما … قلتم مقالًا أُخرِسَتْ عُذَّالُه

إذ صدَّقته حوادثُ الدهر التي … ليست تحابى فيه أو تختالُه

ما أسرعَ الوهابَ جودًا بالذي … تهوى، فجُد يا مَن ثناه سؤالُه

كلي يقينٌ أن جودك نائلي … حاشا عُبَيْدَك أن يخيب نواله

والكون أجمعه يروم رضاءه … أقطابُه، أوتادُه، أبدالُه

وتحفُّه الأملاك تغشى روضه … تغشاهمو بركاته وظِلالُه

سبعون ألفًا في النهار، ومثلهم … يُمسي، صلاتُهمو عليه وصالُه

فإذا انجلى يوم القيامة زفَّه … سبعون ألفًا، هؤلاء رجالُه

صلى عليك وسلم الله الذي … وفّاك وصفًا بالثناء مقالُه

وعلى أبيك أبي الفضائل كلها … تاج الرؤوس ومَن زَكَتْ أنسالُه

وعلى العظيمة خير أم أنجبت … خير الورى فلها العلا وكماله

والبِّر أجمعُه لها؛ فنصيبُها … يربو على ما اللأمهات تنالُه

الوالدان السيدان الساجدا … ن الماجدان يمينه وشماله

أصل الهدى نبع الندي رمز الفدا … فهما من النور المعين زلالُه

وكذا الصحابة من نظرت إليهمو … فزكَوْا، وخيرُ الخلق أصلًا: آلُه

قصيدة للدكتور : محمد وسام خضر

١٨

لماذا نحتفل بالمولد النبوي في يوم ١٢ ربيع الأول؟



عبدالله أبو ذكري

facebook.com/abdullah.abouzekry

الرّاجح تاريخيًا -بالحساب الفلكي- أن المولد الشريف وافق الاثنين ٩ ربيع الأوّل ٥٣ ق.هـ [انظر: تاريخ الخميس للديار بكري ونتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الإسلام لمحمود باشا الفلكي]، ويدّعي بعض المعترضين أن ١٢ ربيع الأوّل هو يوم الانتقال الشريف، والتحقيق التاريخي أنّ يوم الانتقال الشريف وافق الاثنين ١٤ ربيع الأوّل ١١ هـ، فكلامهم عن جهل وضيق أُفق كما هو معتاد من أصحاب هذا المنهج المعوج، فمن أين إذًا أتى الاحتفال بيوم الثاني عشر ربيع الأول، ولماذا صار عنونًا للاحتفال بالمولد النبوي الشريف؟

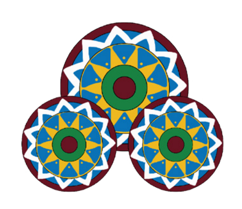
وصل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قُباء آتيًا من مكّة المكرمة في رحلة الهجرة الشريفة يوم الاثنين ٨ ربيع الأوّل ١ هـ، فأقام بها الثلاثاء والأربعاء والخميس فبنى مسجد قُباء الذي أُسِّسَ على التّقوى من أوّل يوم، ثم سار ضُحى يوم الجُمعة ١٢ ربيع الأوّل ١ هـ فصلّى الجُمعة ببني عمرو بن عوف (وما زال الموضع معروفًا لليوم بمسجد الجُمعة)، وهي أوّل جُمعة يُصلّيها النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم بالنّاس، ثم دخل المدينة المنوَّرَة بعد صلاة الجُمعة، وكان صلى الله عليه وآله وسلَّم قد أتمّ ٥٣ عامًا هجريًا في اليوم التالي لدخوله قُباء واشتهر أنّه دخل في يوم مولده الشريف.

وخرجت المدينة عن بكرة أبيها لاستقبال حضرته بالمواكب وهم يحملون سعف النخل وينشدون المدائح ويستشرفون قدومه الشريف يقولون: «قدم رسول الله، قدم رسول الله...»، فاستقبلوه عند قُباء، وعلى مشارف المدينة المنوَّرَة عند دخول حضرته إليها بالمواكب والمدائح، واحتفلوا بحضرته الاحتفالات العظيمة في يوم الدخول الميمون للمدينة المنورة، ولم يُحفظ تاريخ المولد واشتهر يوم الثّاني عشر هذا لأنّه يوم دخول المدينة المنوَّرَة فحفظه كل أحد على الراجح، فهو يوم عيدين، عيد دخول حضرته للمدينة

فنوَّرَها وأضاء منها كل شيء، وعيد الجُمعة، وهي الجمعة الأولى لحضرته بالمدينة المنوَّرَة، وكلها أيّام شريفة. [انظر السيرة النبوية لابن هشام المعافري، تاريخ الخميس للدياربكري].

والحقُّ أنّ هذا الشهر كله مُبارك أيّما بركة، وإنما يوم ١٢ هو رمز ليس إلّا للاحتفال بالنّبي صلى الله عليه وآله وسلم في شهر ربيع الأنور كلّه، ففيه المولد ودخول قباء ودخول المدينة في الهجرة وغيرها من الأيّام الشريفة في حياته صلى الله عليه وآله وسلم، وقد منّ الله على أمّة الإسلام بأن جعل جميع أهل العلم والولاية فيها يكثرون الاحتفال بحضرته طوال الشهر لفهمهم هذه المعاني الشريفة فتجد الاحتفالات طوال الشهر المبارك ومجالس الصلاة على حضرته والمدائح والإطعام وغير ذلك، وأنّ هذا شهر المنن الكُبرى والنعم العُظمى وفيه من البركة والفضل ما لا يخفى على صاحب عقل، فضلًا عن أهل المحبة.

وهذا دليل تاريخي عجيب على مشروعيّة الاحتفال بذات يوم ١٢ ربيع الأوّل وخصّه بذلك دون غيره وجعله يوم فرح وسرور!، حيث احتفل به جميع أهل المدينة وخرجوا وتركوا أعمالهم لاستقبال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان يوم عيد، وأنشدوا المدائح يومها وهو مسطور منصوص عليه في كتب السيرة، بل وأعدّوا الولائم وكان كل ساعة يأتيه أهل المدينة بقصعة طعام يأكل منها صلى الله عليه وآله وسلم وجلسائه في دار أبي أيوب رضي الله عنه واستمر ذلك مُدّة!!، بل وسارت المواكب لاستقباله الشريف!، وهو من معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم ودلائل نبوّته أن وفّق الله الأمّة لمثل هذا فجعلت أكثر دول العالم الإسلامي هذا اليوم يوم احتفال واتّفق المسلمين على ذلك!، فكيف يأتي مختل عقليًا يقول هذا شيء لم يفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا الصحب الكرام وإذ بنا نتوصل الآن إلى ذلك بالأدلّة العلميّة التاريخيّة!، وأنهم قد فعلوا عين ما تُنكر يا مسكين!؟، فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وسلم.





س١: كيف يُطهر القلبُ من السِّوَى؟

الإجابة: بالتدبر والتأمل والتفكر، تفكروا في خلق الله، وفي كلام الله، فهذا يفتح لكم أبوابا عجيبة غريبة تخرج ما سوى الله من قلبك.

والحكم العطائية كلها تفسر لا حول ولا قوة إلا بالله، وهو أن تخلي قلبك من السوى، فما سوى الله لا حول له ولا قوة، كائنا ما كان، العرش، والسماوات، والملائكة، والجن، والأنبياء، والأولياء، والبشر، والحجر، وغير ذلك.

س٢: ورد في عدد من الأحزاب الذكر بـ (أحون قاف أدم حم هاء) فما معناها؟

الإجابة: هناك علاقة ما بين الحروف وبين الأعداد، وبين جريان أجرام السماء في السماء وبين أحوال شأن الإنسان في الأرض، وهي علاقات لا تصدر إلا عن حكيم، ولذلك فكلما اطلع الإنسان على هذه العلاقات التي يتعجب منها لا يمكنه إلا أن يقول إن الذي خلق هذا الكون وأوجده وكان سببا في إنشائه وقال له كن فيكون لا يمكن إلا أن يتصف بصفات الكمال والجمال والجلال، لا يمكن إلا أن يكون كذلك.

فهذه العلاقات اكتشفها الأقدمون، وورد ما يدل على أن سيدنا إدريس أول من ألهمه الله وأوحى إليه بمثل هذه العلاقات. هذه العلاقات تفنن فيها المتفننون، وفتح الله على عباده في إدراكها، ووجد الباحثون فيها أن لها علاقات مع أسماء الله الحسنى الموجودة في الحديث والروايات المختلفة وعددها في القرآن الكريم أكثر من ١٥٠ اسماً وفي السنة أكثر من ١٦٠ اسماً وفي المجموع بينهما أكثر من ٢٤٠ اسماً، ووجدوا أن هناك علاقات بين هذه الحروف وهذه الأعداد وهذه الترتيبات. وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي

وسيدي عبد العزيز الدباغ وسيدي إبراهيم الدسوقي متبحرون فيها، وبناء عليه وُضِعت مثل هذه التركيبات.

هذه التركيبات لها في كثير من الاحيان تفسير ولها معنى، ولكن المشايخ لا يريدون أن تكون شائعة في الخلق؛ لأنها تشتمل على معاني قد تثقل فى الفهم إلا بعد فهم هذه العلاقات وتلك الجداول إلى آخرة، ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فمن وافق خطه خطه، فذاك) أي خط النبي الأول الذي اكتشف وأوحى الله إليه هذه العلاقات فسيصل إلى شيء.

فلما رأينا الخير جرى على يد أولئك الأكابر من الائمة الذين يأمروننا بذكر الله والتوحيد الخالص والعبادة وكل هذه الأخلاق الطيبة ويأمروننا ألا تكون الدنيا في قلوبنا بل في أيدينا، وأن نكون في الدنيا كعابر سبيل، لم يطلبوا سلطاناً ولا دنيا ولا شيء من هذا، ولم يأمروننا بالسيء من الأخلاق، عرفنا أن الله فتح لهم وبهم وعليهم هذه العلوم.

إذاً هذه الأمور لها دلالات على تلك العلاقات التي بين الحروف والأعداد، ولكن ليس من الضروري أن نعلم معانيها الدقيقة؛ لأن معانيها الدقيقة تحتاج إلى إيضاح يمكن أن يُشرح في ورقات كثيرة حتى نستوعب ما المراد منها. ولكن القرآن الكريم أشار إلى هذه الحروف المقطعة في أوله: (الٓمٓ)، وكذلك في أوائل بعض السور (حمٓ) (قٓ)، وهكذا وكأنه يشير إلى شيء من هذه العلوم. ويجب علينا أن نسعى في فهمها وعلمها وليس في محيط معرفتها هكذا، بل إن ورائها أسرارا كثيره

في محيط معرفتها هكذا، بل إن ورائها أسرارا كثيرة يمكن أن تفيد في الدعاء، فلأننا سلمنا لسيدي أبي الحسن الشاذلي علمه وفضله وإمامته فعلناها.

س٣: كثرت الفتن من حولنا وكثرت الحيرة، فماذا نفعل حتى ننجو؟

الإجابة: بَطَّل (امتنع عن أن) تذاكر الفيس بوك والانترنت هتلاقيك (سوف تجد نفسك) مبسوط آخر انبساط (في راحة)، فالحيرة تأتي من انشغال أنفسنا بما لم يشغلنا الله به.

س٤: ماذا عن صحبة الشيخ وما يجب على المريد لتحقيق هذه الصحبة؟

الإجابة: أخذوا صحبة الشيخ من ملازمة الصحابة الكرام – رضي الله عنهم وأرضاهم – لرسول الله ﷺ، ووضعوا لها آداباً، من هذه الآداب: [وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ] (الاحزاب: ٥٣). والنبي ﷺ لأنه سيكون له ميراث محمدي فى التعليم والارشاد والتربية، واجه هذه المشكلة: أن الكل يحب أن يجلس إليه، حتى قال له حنظلة: عندما نكون معك تكون قلوبنا فى السماء ومعلقين بالعرش، وعندما نخرج ونعافس أهلنا وأموالنا تحدث لنا غفلة! فقال: يا حنظلة ساعة وساعة، والله لو دمتم على ما كنتم معي عليه لصافحتكم الملائكة في الطرقات. وكثير من الناس يفهمون أنها درجة عالية، وأنا أفهم منها أنها تحذير،

لأنه لو صافحتنا الملائكة في الطرقات لتركنا الدنيا وعمارتها فوقعنا مرة أخرى في المعصية؛ لأن الله أمرنا أن نعمر هذه الدنيا، ولا ننشغل بجمال الملائكة وأُنسها عن الهدف الأساسي للخلافة البشرية للأرض. ولذلك يا حنظلة ساعة وساعة، هذا هو الكمال، وليس الكمال أن نلتذ فنخالف، فيجب علينا إذن أن نفهم هذا الأمر بدقة.

س٥:بين مقام الرضا والمحبة في بداية طريق المريد، أيهما أولى بالاتباع، فالمحبة تقتضي طلب الوصال من الله أو الرسول أو الأولياء، والرضا يتطلب التسليم بالحال، أيهما أقرب لرضا المحبوب؟

الإجابة: في الحقيقة أن المحبة لا تقتضي طلب الوصال، بل إن المحبة هي نفسها الوصال، أي إذا كان في قلبك حب حقيقي لله ولرسوله فقد اتصلت به، فالمحبة هي الوصال [قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ](آل عمران: ٣١) إذاً: إذا كنت حقا حبه لأطعته، إن المحب لمن يحب مطيع.

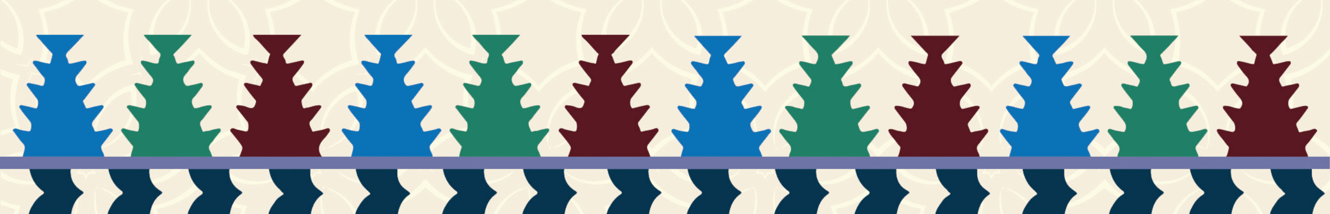
س٦: في كتاب سيدي النبهاني (سعادة الدارين)، فصل رؤية رسول الله على غير هيئته، وإن رؤية سيد الكونين مثلا يعكس حال ومقام الرائي وربما رجع ذلك إلى نقص في دين الرائي؟

الإجابة: نسأل الله – سبحانه وتعالى – الكمال دائما، ولكن النبي لو رُئِيَ في غير هيئته، فإن ذلك له تأويل، فليعرضه على أصحاب التأويل ويذكرون له ما المعنى الذي هو فيه. أما كونه يدل على نقصان في الدين؟ فقد يكون ذلك، أو هل يدل على معصية؟ قد يكون ذلك، أو هل فيه إشارة لفعل معين وليس فيه نقصان؟ قد يكون ذلك حسب الرؤية وحسب سياقاتها.

س٧: سمعت أنه لا يجوز أن نقول لأحد (ربنا بيحبك)، فهل هذا صحيح؟

الإجابة: وهل قولهم (ربنا بيكرهك) هي الصحيحة؟! ربنا بيحبك، وإلا لم يخلقك، ولم يرشدك الى هذا الخير، سواء كان الإسلام أو الطاعة في الإسلام أو استجابة الدعاء. من قال لك إن الله لا يحب صنعته؟! الله يحبك قطعا.

وفي النهاية ندعو الله – سبحانه وتعالى – أن يغفر لنا ذنوبنا، وأن يكفر عنا سيئاتنا، وأن يجمعنا في الدنيا والآخرة على الخير، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يشرح صدورنا للإسلام، وأن ينور أبصارنا وبصائرنا إلى حقائقه، وأن ينقلنا من دائرة سخطه الى دائرة رضاه، وأن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا وجلاء همنا، وأن يحشرنا تحت لواء سيدنا النبي ﷺ، وأن يدخلنا الجنة ببركته من غير حساب ولا سابقة عقاب ولا عتاب، وأن نشرب من يده الشريفة شربة ماء لا نظمأ بعدها أبدا. فاللهم يا ربنا متعنا بالنظر الى وجهك الكريم، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، وأدخلنا الجنة مع الأبرار. أصلح حالنا، واغفر ذنبنا، واستر عيبنا، وهيء لنا من أمرنا رشدا، وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.



يـا مـن تـعـاظـم حتى رقّ مـعـنـاه
ولا تـــردّى رداء الكِبْـــرِ إلا هُـــو
تـــاهـــو بحبـــك أقـــوام وأنـــت لهـــم
نعم الحبيـب وإن هـامـوا وإن تاهـوا
ولي حبيـــب عـــزيـــز لا أبـــوح بـــه
أخشى فضيحة وجهي يـوم ألـقـاه
قالوا أتنسى الذي تهـوى فقلت لهم
يا قوم من هو روحي كيف أنساه
ما غاب عنّي ولكن لست أبصـره
إلا وقـلـت جهـــارًا قـــل هـــو اللّه

الإمام الرفاعي



صور الكود للدخول
لموقع الصديقيّة



https://siddiqiya.com/info

